دور الأسرة السعودية في إقامة الدولة الإسرائيلية

1417 هـ 1997 م

حمادة إمام

إهداء عام

إلى كل الغافلين من المحيط إلى الخليج..
فلتكن رؤوسكم "سندان".. تدقه المطارق ما دمتم سعداء بدوام الغفلة!

مقدمة

المساهمة في أي جريمة تعنى القيام بدور في تنفيذها، والمساهم يُسأل عن الجريمة بصفته فاعلاً أصيلاً فيها، والمساهمة تفترض سبق وجود اتفاق، قوامه اتحاد الإرادات بين الذين قاموا بأدوار في تنفيذها سواء كانت أدواراً رئيسية أو ثانوية. فالفاعل في الجريمة ليس هو المنفذ فقط بل كل من يقف على مسرحها ليؤدى دوراً طبقا للخطة المرسومة فهو فاعل أصيل فيها. وقيام إسرائيل جريمة مسرحها كان أرض

فلسطين، ووقف على ذلك المسرح العديد من الدول والأسر والشخصيات، ومن بين هذه الأسر أسرة آل سعود التي ساهمت في قيام إسرائيل، وإن كان دورها قد بدا غير مباشر إلا أنه انتهى من حالة السرية إلى حالة العلانية، وتضمنت المرحلة السرية قيام اسرة آل سعود بدور الأداة في يد بريطانيا للقضاء على الثورة العربية وجيوش الشريف حسين، وقد انتقلت الأسرة من مرحلة السرية إلى مرحلة العلانية وذلك بتحويل منابر الأماكن المقدسة إلى إذاعة للدعوة إلى بريطانيا وتبرير تواجد جيوشها في البلاد الإسلامية، بالإضافة إلى إجهاض أي محاولة للقضاء على إسرائيل والتي بدأت مراحل الشروع في زراعتها منذ أواخر القرن التاسع عشر داخل أروقة القصر الملكي ببريطانيا، وتحديداً منذ أن لفت الوطن العربي وموقعه المتميز والاستراتيجي نظر العسكريين الإنجليز إلى خطورة البقعة على مستعمراتها وإمكانية اتخاذها قاعدة للانقضاض على المستعمرة البريطانية في الهند عقب انتهاء حرب السنوات السبع بين بريطانيا وفرنسا واستيلاء الإنجليز على كامل

التركة الفرنسية وتحرك نابليون إلى الشرق قاصدا مصر واحتلالها. وقتها اكتشف الساسة الإنجليز مدى خطورة هذا الموقع إذا ما وقع تحت يد الفرنسيين ولجأت بريطانيا إلى تأمين جميع المنافذ المؤدية إلى مستعمراتها في الهند. ولم تكد تنتهى من فرنسا وطردها من مصر والقضاء على قوة محمد على وتحجيمها، إلا واستيقظت بريطانيا على نبأ تمرد المستعمرة الأمريكية عندما فرضت بريطانيا قانون الضرائب على المستعمرات الأمريكية لتعويض خسائرها في الحروب. وقد تطور الأمر ليصل إلى حد الثورة وإعلان الاستقلال لإنشاء دولة جديدة بعيدة عن العالم القديم بكل مشاكله، وقد تزامن ذلك مع قيام الثورة الصناعية وحدوث نوع من الدارونية الاجتماعية وحراك اجتماعي صاعد بين طبقات المجتمع الإنجليزي، وأصبح الصعود والترقي في المجتمع طريقه سهل بعد أن أصبح الانتقال للعمل في إحدى المستعمرات وسيلة لتحقيق الطموح وتحول العديد من المواطنين للعمل الصناعي وترك الزراعة، الأمر الذي ساعد على وجود طبقة برجوازية جديدة استخدمت الطبقات الدنيا

في صراعها مع الإقطاع وأصبح رأس المال الجديد يضغط على القصر الملكي للبحث عن سوق جديدة لتصريف الإنتاج الصناعي بعد أن تراكم المخزون عقب غلق المستعمرة الأمريكية.

فكان لابد من البحث عن سوق جديدة وأرض جديدة لاستيعاب الطموح الإنجليزي فكانت أفريقيا هي الوسيلة الجديدة لتخفيف الضغط على القصر الإنجليزي، بعد أن ظلت مهملة ولم تكن تمثل أدنى اهتمام للإنجليز سوى كونها محطات تموين للسفن الإنجليزية بالإضافة إلى مناخها الذي لا يتلاءم مع الطبيعة الأوربية، وطبيعتها المغلقة ووجود منفذ وحيد لها عبارة عن بوابة سرية لابد من التحكم فيها والسيطرة عليها لإمكان احتلال أفريقيا، تلك البوابة هي شبه جزيرة سيناء وتحديدا منذ قناة السويس، لذا كان لابد للإنجليز من احتلال مصر لإمكان التحكم في البوابة السرية لأفريقيا، ولكن احتلال مصر ليس بالأمر الهين فهي دولة لها جيشها وأسطولها وسبق أن هددت الخلافة العثمانية ذاتها، لكن هذا الأمر يهون أمام الخروج من المأزق الموجود داخل بريطانيا

وضغط رأس المال ولكن المغامرة باحتلال مصر للقفز على أفريقيا يتطلب هذه المرة تأمينها، خوفا نم أن تواجه نفس مصير المستعمرة الأمريكية، وقد لاحت في الأفق إشارات تبرر لها احتلال مصر أهمها أزمة الديون التي نشأت نتيجة حفلة افتتاح قناة السويس وانخفاض أسعار القطن. وقتها تخلى الإنجليز عن مبدئهم الذي كان يقتضي عدم التدخل لحماية أي مستثمر أراد الاستثمار خارج بريطانيا. واتخذت بريطانيا من مطالبة الرعايا الإنجليز مبرراً لاحتلال مصر بحجة حماية أموال رعاياها وتحصيلها، ولكن هذا الاحتلال كان يلزمه حماية من نوع خاص، حماية تأمن فيها بريطانيا ثورات المصريين لحماية البوابة السرية لأفريقيا، فكان لابد من زرع قاعدة بشرية تفصل العربي الأفريقي عن العربي الآسيوي بعد أن أكسبت الحروب الصليبية الغرب خبرة ودراية بجغرافيا الوطن العربي وأن أمن مصر يبدأ من الشام وتهديدها يبدأ من هناك أيضاً، ومن هنا كان الحل هو البحث عن أناس يقبلون القيام بدور الحاجز البشري وتزامن البحث الإنجليزي مع ثورة المسيحيين على اليهود ومطالبتهم

بضرورة تخليص أوربا منهم بعد أن زادت ظاهرة الإحياء الديني وعدم نسيان المسيحيين أن اليهود هم قتلة المسيح، وجاء حادث مقتل القيصر في روسيا وحادث المدفعية في فرنسيا ليكون الشرارة الأولى لثورة المسيحيين على اليهود. وقد أرادت بريطانيا أن تستغل ثورة المسيحيين وتظهر بمظهر مُخَلِّص أوربا من شرود اليهود وفي الوقت ذاته تظهر أمام اليهود بمظهر المدافع عن حقوق الإنسان، ولكي تستفيد أيضاً من ثروات اليهود واستغلالهم ليقوموا بدور الحاجز البشري على جانبي قناة السويس والإقامة على أرض فلسطين لحماية البوابة السرية لأفريقيا. وإذا كانت بريطانيا قد وجدت في اليهود من يقوم بدور الحاجز البشري إلا أن زراعة هذا الحاجز في وسط تكوين إسلامي عربي ضرب من ضروب المستحيل، فكافة الدول العربية ومنها مصر كانت خاضعة للخلافة العثمانية ومصر تحديدا دولة صعبة المنال واحتلالها ليس بالأمر الهين، فكان لابد من ظروف قاهرة تبرر إقدام بريطانيا على احتلال مصر. وجاءت الفرصة مع افتتاح قناة السويس وأزمة الديون التي أصابت مصر وقتها، اتخذتها

بريطانيا ذريعة لاحتلال مصر ولكن هذا الاحتلال إن كان سهَّل للإنجليز استعمار مصر إلا أنه لم يكن يُسَهِّل زرع الدولة اليهودية على أرض فلسطين لفصل الشام عن مصر وحماية قناة السويس، فكان الحل هو القضاء على الخلافة الإسلامية أولاً تحت دعاوى يقبلها المسلمون في بقاع الأرض خوفا من أن يعلن الخليفة العثماني الجهاد فتهب كل الشعوب الإسلامية للاستجابة للنداء. وقد ساعدت الظروف وأتاحت الفرصة أمام الإنجليز لبث بذور الخلاف بين العرب المسلمين والخلافة الإسلامية أو هو بمعنى أدق استغلال شعار القومية العربية ضد شعار الخلافة الإسلامية. وقد استخدمته بريطانيا في الوقت المناسب عندما وصلت جمعية الاتحاد والترقى إلى الحكم في تركيا وبدأت في تتريك المستعمرات العثمانية وحلت اللغة التركية محل اللغة العربية وقد خشي العرب من ضياع لغتهم ودينهم. وقتها بدأت بريطانيا في تأجيج مشاعر الثورة والتمرد لدى الشريف حسين باعتباره رجلاً من نسل الرسول وإعلانه الثورة والتمرد أثناء الحرب العالمية الأولى سوف يساعد بريطانيا في إجبار الجيوش التركية في الإبقاء على

قواتها داخل مستعمراتها حتّى تمهد الطريق أمام بريطانيا لإعادة صياغة العالم وفق أهدافها، وبالفعل استطاعت بريطانيا تنفيذ مخططها والقضاء على الخلافة الإسلامية وأصبح الأمر سهلاً في الشروع في إقامة الدولة اليهودية.

وإذا كانت بريطانيا قد استخدمت شعار القومية العربية ضد الخلافة الإسلامية، إلا أنها عادت واستخدمت شعار الخلافة الإسلامية ضد القومية العربية عندما رفض الشريف حسين تنفيذ مطالبها في إقامة دولة اليهود على أرض فلسطين، فكان الحل هو القضاء عليه. ولكن مثل هذا القضاء لابد أن تكون بريطانيا بعيدة عنه كل البعد لأسباب عديدة، لعل أهمها أن الرجل من نسل الرسول "صلى الله عليه وسلم". ولا تجرؤ بريطانيا على المساس به بالإضافة إلى اشتعال الثورات في العديد من المستعمرات البريطانية، فكان الحل هو خلق صراع عربي خالص تظهر فيه بريطانيا وكأنها بعيدة عنه. ووجدت بريطانيا ضالتها المنشودة في أسرة آل سعود التي كانت تبحث عن دور في الجزيرة العربية أياً كان المقابل الذي تقدمه.

وبالفعل استطاعت بريطانيا أن تجعل من آل سعود دمية في

يدها يؤمرون فينفذون وتطور دورها إلى جعلهم يلعبون دور بابا الإسلام فكانت بدايتهم هي القضاء على قوات الشريف حسين باعتباره القوة العربية الوحيدة المؤهلة للحرب والمتحدثة باسم العرب، ومع مرور الأيام حولوا الأماكن المقدسة إلى إذاعة للدعوة إلى بريطانيا وعندما أيقن أهل فلسطين أن عدوهم الحقيقي هو الإنجليز وثاروا عليهم ثورتهم المشهورة في عام 1936. وبدأت بريطانيا تعيد حساباتها وفكرت في التخلص من مساندة اليهود وتركهم يواجهون مصير الموت نتيجة الضغوط التي هددت مستعمراتها في الهند وأفريقيا.

تدخل عبد العزيز آل سعود ليلعب أخطر دور في التاريخ الحديث وخداع أهل فلسطين من فوق منبر الحرمين، ووجه نداء باعتباره بابا للإسلام وكان فحواه أن أهل فلسطين عليهم أني يصدقوه أنه في حالة إيقاف ثورتهم سوف يساعده ذلك على إلزام بريطانيا بالتخلي عن اليهود وطردهم من الأراضي العربية. وقد تعهد بتنفيذ كافة المطالب الفلسطينية ومنها طرد اليهود، وعندما استجاب الفلسطينيون للنداء كان رد الفعل

البريطاني أنها لم تطلب من أحد التدخل وأن آل سعود تدخلوا طواعية ولم ينته الدور السعودي عند هذا الحد، فعندما قامت الحرب العالمية الثانية وكان هتلر على الأبواب حول آل سعود الأراضي الحجازية إلى محطات تموين لقوات الحلفاء بالإضافة إلى إقامة قواعد عسكرية للقوات، وعندما انتهت الحرب وتخلت بريطانيا عن دور الحاكم الأوحد للعالم غيَّر آل سعود قبلتهم إلى ناحية أمريكا ليلعبوا نفس الدور حتّى إعلان قيام دولة اليهود.

الفصل الأول

الوطن العربي في عيون الغرب

"إن الأمة العربية لها شخصية خاصة تنفرد بها عما سواها من الأمم: شخصية مؤلفة من عناصر مختلفة أهمها اللغة والثقافة والتاريخ المشترك، قد تحررت جميعها من أصول الماضي فأول واجب قومي يترتب علينا هو فهم هذه العناصر فهماً يكشف لنا روحها ويوضح لنا جوهرها كي نعرف حقاً من نحن وكيف تكوّنا".

د. قسطنطين زريق

في رائعة جمال حمدان "شخصية مصر" حدد الراحل الشروط والمواصفات التي لو توافرت في أي وحدة سياسية على ظهر الأرض صارت مؤثرة في مجريات الأحداث، حافرة اسمها في سجلات التاريخ.

في مقدمة هذه الشروط الموقع الجغرافي الذي يصنع الخصائص التي تتأثر بها الوحدة السياسية، وهذا الموقع لا تقاس أهميته بعدد الكيلو مترات ولكن أهميته تقاس بما يتوافر فيه من مصادر للطاقة وطاقات بشرية قادرة على الوفاء بالعمل الذي يستهدف استغلال الموارد المتاحة وزيادة حجم الإنتاج زيادة تكفل المحافظة على مستوى معيشي مناسب للسكان، ثم هي تقاس من ناحية أخرى بما يحقق فيها من خدمات النقل التي تفي بحاجات التجارة وحاجات الاستراتيجية العسكرية ومتطلبات الدفاع عن كيان الوحدات السياسية في وقت الخطر الذي يتهددها. هذه الشروط والمواصفات لو طبقت على عالمنا العربي نجد أنه يحتل مساحة تمتد من جنوبي غرب آسيا إلى شمال أفريقيا بحيث

تشرف وتسيطر على القلب من جزيرة العالم وتحتل المركز المتوسط بين آسيا وأفريقيا. فإذا كان لهذا الوطن أهميته فهي مرتبطة بالموقع الجغرافي وحساسيته التي تضفي على خصائصه كل مظاهر الأهمية والاعتبار، فهو يقع في رقعة الأرض التي تجعله يشرف على أخطر ثلاثة أذرع مائية من وجهة نظر الملاحة والتجارة؛ هذه الأذرع هي البحر المتوسط والبحر الأحمر والخليج العربي والتي يرتبط بكل ذراع منها مسطح مائي هام وخطير من حيث حركة الملاحة وحجم التجارة العالمية فذراع البحر الأحمر يتصل بالمحيط الهندي الذي تمر به كل تجارة العالم الآسيوي وشرق أفريقيا واستراليا، أما بالنسبة لذراع البحر المتوسط الذي يتصل بالمحيط الأطلنطي فتتجمع فيه وتمر به كل تجارة العالم الأوربي والأمريكي. هذه الأذرع الممتدة في وطننا العربي تتناسب والملاحة البحرية وأضفت على موقع العالم العربي أهمية بالغة الأثر من حيث وجهة النظر الاستراتيجية ومن حيث وجهة نظر النقل والمواصلات، فتجمع الطرق البرية من قل ووسط آسيا ومروراً بسهول الرافدين وأرض الشام إلى

ساحل البحر المتوسط ومن قلب أفريقيا فيما وراء الصحراء ومرورها في اتجاه الشمال إلى ساحل البحر المتوسط، كان يضفي على الموقع الجغرافي لهذا الوطن مزيدا من الأهمية. وهذا الموقع المتميز بقدر أهميته بقدر ما كان نقمة وبلاء تعود إلى ما يمليه القادة العسكريون من اهتمام بالمواقع المؤثرة في العالم. فقد اتفق العسكريون منذ القدم على الأهمية الاستراتيجية لموقع الوطن العربي وأن امتداد مساحة هذا الوطن الكبير يجعل منه وحدة استراتيجية ذات خطر عظيم في أي حرب عالمية وعلى أي مستوى من مستويات الأسلحة المستخدمة في القتال. فاتساع رقعة الأرض العربية وموقعها الجغرافي المشرف على البحرين الأحمر والمتوسط والخليج العربي والمحيط الهندي يكفل العمق الاستراتيجي المناسب سواء بالنسبة للتخطيط الإنتاجي وتوزيع مناطق الإنتاج ضمانا لتأمينها أو بالنسبة لتوزيع القواعد العسكرية برية كانت أو جوية وتشغيلها واشتراكها في المعارك. هذه الأهمية لهذا الموقع كانت مسؤولة في كل وقت من الأوقات عن كل المحاولات التي بذلت وتبذل من جانب القوى الكبرى في العالم

لفرض نوع من السيطرة أو النفوذ للاستفادة من هذا الموقع أو لمجرد التصدي لأي محاولة خلاقة تكفل قيام قوة ذاتية كبيرة في حدود هذا الوطن. ورغم المزايا والأهمية المتوافرة في موقع عالمنا العربي إلا أنه لم يلفت نظر القوى الاستعمارية الكبرى إلا في عام 1798، وتحديدا قبل هبوط الحملة الفرنسية على شواطئ مصر. فبريطانيا كانت على علم بأن فرنسا تنوى غزو جهة ما في الشرق الأوسط تمهيدا لمهاجمتها في الهند، وهو الأمر الذي كانت لا تقبله بريطانيا فالهند ليست بالمستعمرة السهل التفريط فيها. فمنذ أن قرر الملك جيمس الثاني 1685 قيام شركة الهند الشرقية بغارات على الموانئ التجارية الواقعة على سواحل الهند الشرقية للانتقام من حكام الهند والمغول الذين كانوا يعارضون مشروعاتها التجارية ويضعون أمامها العراقيل وكانت هذه الشركة قد أنشأت لها مراكز تجارية على سواحل الهند، ولكنها كانت تصادف متاعب على يد الحكومة المركزية للهند التي يحكمها المغول. لذا فقد تم تجهيز أسطولين وأمرت أحدهما بأن يرابط على مقربة من ميناء سوارات لكي يهاجم

ويدمر وينهب، وقد أدى استخدام هذا السلاح إلى تتنازل حكومة المغول والسلطات الإقليمية للحكومة الهندية عن موقعها المتشدد والذي كانت تقفه تجاه شركة الهند الشرقية. ومع بدايات القرن الخامس عشر بدأ بناء إمبراطورية المغول يتهاوى بالتدريج وبدأت الأقاليم الكبرى في الهند وخاصة البنغال تتحول إلى شبه دويلات مستقلة، وكان يحكم البنغال نائب للامبراطور يسمى جفير خان وكان يمارس سلطات مطلقة ويعارض المشروعات الاستغلالية لشركة الهند، الأمر الذي دفع الشركة إلى إرسال اثنين من القادة إلى إمبراطور المغول المقيم في دلهي وقد حملا معهما الهدايا والرشاوى، وبعد عامين وأثناء احتفال الإمبراطور بزواج ابنه أصدر فرمانا بمنحهما حقوقاً إقليمية في البنغال وقد استمر هذا الوضع حتّى خلف اللفردي خان نائب الإمبراطور ابن اخته سراج الدولة وكان محل كره وسخط الشعب كله. لذا فقد عرفت الميكافيلية البريطانية طريقها إلى منافس سراج الدولة وساعدته على الإغارة عليه ولكن استطاع الانتصار عليه وبقى ان يتخلص من شركة الهند الشرقية والتي كانت في

إقليم كلكتا، فهاجم قلعة فورت وليم في يونية 1756 وأصبح مركز البريطانيين في البنغال مهددا بالزوال وقد أحدث هذا الهجوم آثاراً سيئة على بريطانيا، وذلك لأن الذي حدث أن سراج الدولة عندما هاجم القلعة وقع في أسره "120" إنجليزياً سجنوا بداخلها، وذات صباح استيقظ الحراس ليكتشفوا موت المائة والعشرين وهو الحادث الذي عرف باسم "بلاك هول". وقد استغل البريطانيون هذا الحادث في حشد الرأي العام البريطاني لدرجة أن البريطانيين الذين فروا من قلعة فورت وليم استماتوا في الدفاع عن مقر الشركة ليس من أجل بريطانيا ولكن خوفا من حياة التشرد والضياع، فالعودة تعنى ضياع حلم التجارة والثراء لذا فقد قرر العاملون في الشركة مهاجمة قلعة فورت وليم، والغريب أن حراس سراج الدولة فروا وتركوا القلعة واستعادها البريطانيون، وتفرغوا بعد ذلك لمهاجمة تحصينات الفرنسيين منافسيهم في الهند وهزموهم وأجبروهم على الخروج من الهند. وأدت هزيمة الفرنسيين وسقوط القلعة إلى حدوث انقسام بين قوات سراج الدولة وأعلن قائد جيشه "ميرجافير" رغبته في

التخلص من سراج الدولة. وقد وصل هذا إلى علم البريطانيين فجرى الاتفاق معه في سرية تامة على التخلص من سراج الدولة في مقابل دفع تعويضات للبريطانيين الذين تعرضوا للخسائر عن كلكتا. وكانت القوات البريطانية بقيادة كلايف ترابط على تخوم البنغال انتظاراً لأي فرصة للانقضاض داخل البنغال ومساعدة مير جافير. وعندما تأججت مشاعر الثوار قادوا انقلاباً ضد سراج الدولة وتمكن مير جافير من الاستيلاء على الحكم هناك، وكان قد وقع تعهات والتزامات لصالح شركة الهند الشرقية وبمجرد تنصيبه حاكما قام بتحويل البريطانيين من مجرد لاجئين إلى حكام شرعيين للبلاد. وكانت البنغال هي بداية استعمار طويل وعملية نهب منظم لثروات البلاد، فلم يكن البريطانيون يتصورون أن بالهند كل هذه الكنوز الطبيعية والأسواق الصالحة لترويج المنتجات البريطانية. فبمجرد وصول "مير جافير" إلى الحكم قام البريطانيون خلال العشر سنوات الأولى وهي الفترة ما بين 1783: 1973 بتحويل سبائك ذهبية تبلغ "23" مليون جنيه استرليني بقيمة ذلك الوقت، وتواكب ذلك مع بداية الثورة

الصناعية في بريطانيا وكانت بحاجة إلى أموال لبناء المصانع وإنتاج الآلات والتي أحدثت بدورها ثورة زراعية تمثلت في تقلل الأيدي العاملة في الزراعة وتفرغها للعمل في الصناعة. وأحدث ذلك ثورة في البناء الاجتماعي في بريطانيا فبدلا من وجود طبقتين: إقطاع ودنيا، ظهرت طبقة وسطى جديدة وأصبح حلم الصعود في سلم الحراك الاجتماعي الصاعد يراود كل البريطانيين، واستخدمت الرأسمالية الجديدة حلم الإنجليز في تغيير أوضاعهم الاجتماعية في الضغط على طبقة النبلاء والحكام في التوسع يف المزيد من التوسعات الاستعمارية، فالثورة الصناعية أحدثت زيادة في رأس المال وزاد فائض الإنتاج، فكان لابد من تصريف هذا الفائض في المال والإنتاج، وكانت المستعمرات هي المنفذ الوحيد لتصريف هذا الفائض لأن رأس المال أصبح عاجزا عن استخدامه في الوطن وارتبط هذا العجز في قلة الطلب على البضائع الاستهلاكية رغم وفرة الإنتاج، وهذا بدوره مرتبط بوجود ميل في المجتمعات الرأسمالية المتقدمة إلى ادخار جانب كبير من دخل الوطن. ودفعت هذه العوامل مجتمعة

شهية بريطانيا في الاندفاع ناحية المزيد من الفتوحات داخل القارة الهندية، التي لعبت دورا هاما في إحداث تغيرات في البناء الاجتماعي البريطاني. وأصبحت المستعمرات الجديدة وسيلة من وسائل تحقيق الطموح لأبناء الطبقات الدنيا في بريطانيا، فالبريطاني داخل المستعمرات يعامل معاملة الحاكم ويحتل المناصب العليا.

لذا فمجرد أن وصل إلى بريطانيا نبأ تحريك الأسطول الفرنسي ناحية مصر وإعلان مالارتيك حاكم جزيرة مرويتش تعاونه مع "تبو" زعيم الأمراء الهنود المعارضين للوجود البريطاني، بدأت شركة الهند الشرقية منذ عام 1798 اتخاذ كافة التدابير لتأمين المنافذ المؤدية إلى المستعمرة، منها إرسال حملة بحرية بقيادة الأدميرال بلانكيف وتعيين ممثل سياسي في بغداد يشرف على حركة سير البريد عبر العراق الذي قد يصبح بعد نجاح الحملة الفرنسية الممر الوحيد البري بين أوربا والهند، ولم يكن هذا هو التدبير الوحيد فقد قامت بريطانيا بتوقيع اتفاقية مع سلطان مسقط لمنع الفرنسيين من التسرب إلى الخليج العربي.

وعندما وصل نبأ استقرار الفرنسيين في مصر تم توقيع معاهدة وإرسال بعثة إلى جدة لتكون حلقة اتصال بين بريطانيا وشريف مكة، وفي أكتوبر 1798 كانت الحروف الأولى لاتفاقيات ومعاهدات بريطانيا قد ظهرت وكانت أول الاتفاقيات هي اتفاقية مسقط الخاصة بعدم قبول أية وكالة فرنسية أو توابعها مع الوعد بطرد جميع الرعايا الفرنسيين من مسقط. وترجع أسباب نجاح بريطانيا في توقيع المعاهدات وقبول الأمراء العرب لها إلى خوف الأمراء العرب في شبه الجزيرة العربية من احتلال فرنسا لمصر وإرسال بونابرت رسائل تهديدية إلى الأمراء العرب للتعاون معه. وعندما أوشك عام 1798 على الانتهاء كان الاطمئنان قد عاد إلى بريطانيا بعد سد كافة المنافذ أمام الفرنسيين ولم يبق إلا سد منفذ "فارس"، لذا فقد أرسلت بريطانيا الضابط "وليم ملكولم" في بعثة خاصة لدى الشاه وحددت له أهدافاً محددة هي التعاون ضد زمان شاه ملك الأفغان الذي احتل البنجاب وأصبح يهدد الممتلكات البريطانية في الهند. وكان الهدف الثاني هو عدم السماح للفرنسيين أو سفنهم بالدخول إلى

فارس ونجح وليم ملكولم في استصدار فرمان من الشاه بقتل كل فرنسي يظهر في فارس وكللت بعثة ملكولم في الحصول على معاهدة تقضي بالتحالف ضد أي قوة تغزو الهند بالنجاح. وكانت القوة الوحيدة التي تهدد بريطانيا في ذلك الوقت هي فرنسا التي كانت تنازلت بعد حرب السنوات السبع "1756 - 1763" لبريطانيا بعد معاهدة الصلح الموقعة في فبارير عام 1763 لبسط نفوذها حول المناطق المتاخمة للمحيط الهندي. ولم يكن أمام فرنسا وسيلة لتهديد بريطانيا سوى البحر الأحمر باعتباره الطريق البحري الأكثر أهمية من الناحيتين التجارية والبحرية، إذ كان لفرنسا وكلاء يستطيعون الاتصال بجزيرة موريش عن طريق البحر الأحمر وبحكم موقع موريش الجغرافي يصبح هذا الطريق أقصر الطرق ما بين فرنسا وبين غزو الهند باعتباره الأنسب لمرور حملة عسكرية. لذا بمجرد استقرار الفرنسيين في مصر ظهرت أهمية موقع الوطن العربي ولفت نظر وانتباه الدولتين الفرنسية والإنجليزية، وانطلقت كل منهما في تسابق حول احتلال هذا الموقع. وكان أول ما اتخذته بريطانيا لوضع

أقدامها هو استخدام الخليج العربي طريقاً للمواصلات بإنشاء قنصلية في البصرة الواقعة في نهاية خط الملاحة في الخليج، وكانت الخطة المرسومة لسير البريد هي أن تكون البصرة محطة نقل الرسائل من الطريق البحري إلى طريق القوافل الذي يسير غرب الفرات ثم عبر بادية الشام وينتهي إلى حلب وهناك تتولى الوكالة الإنجليزية التابعة لشركة شرق البحر المتوسط نقلها إلى جزر بريطانيا. وقد استمرت بريطانيا في استخدام هذا الطريق حتّى جلاء الفرنسيين عن مصر وبمجرد خروجهم بدأت بريطانيا في إعادة ترتيب أوراقها ونظرتها إلى العالم العربي بصفة عامة والخليج بصفة خاصة.

الفصل الثاني

ظهور الأسر العربية

"ليست المجتمعات البشرية في عقيدة الاستعمار وعرفه شعوباً وأمماً. لكل منها من وحدة مقوماتها الحياتية ما يجعلها شعوباً وأمماً. وإنما هي مجموعات من طبقة عبيد يجد الاستعمار أن يكون الأساس في تقسيمها منسجما مع فهمه

كأدوات تضمن له الأرباح والخدمات".

حتّى أوائل القرن التاسع عشر لم تكن هناك سوى دولتين في منطقة الخليج العربي بالمعنى السياسي وهما فارس وسلطنة عمان. ومع مرور السنوات بدأت تظهر بجوار هاتين الدولتين قبائل أصبحت ذات شأن، ولعل أهم تلك القبائل هي قبائل العتوب والقراصنة. وقبيلة العتوب ظهرت أول ما ظهرت على سواحل الخليج عام "1716" بعد الجفاف والفقر الذي اصاب الجزيرة العربية في ذلك الوقت، ولم تكفِ هذه القبيلة المدينة التي استقرت فيها على ساحل الخليج والتي لم تكن تتعدى ميناء لمدينة لبناء السفن فانتقل من هذه القبيلة فرعان هم آل خليفة والجلاهمة إلى شبه جزيرة قطر سنة 1766، وبانتقال الجلاهمة وخليفة أصبح لقبيلة العتوب سيطرة على الجزء الساحلي من الكويت حتّى قطر وعلى جزر البحرين. وأصبح لقبيلة القراصنة ومنهم القواسيم سيطرة على المنطقة الممتدة من قطر حتّى شمال سلطنة عمان. وقد أيقظ الموقع الجغرافي لتلك الجزر أطماع الأسر العربية في حكمها، وجاءت أول الفرص إلى آل خليفة بعد وفاة حاكمها كريم خان

الزندي فطلب محمد ابن خليفة من الشاه توليه حكم هذه الجزر، فقبل الشاه هذا العرض على أساس أن يدفع له الحاكم العربي جزية سنوية ولما عادت الفوضى والاضطرابات إلى بلاد فارس صادف ذلك حكم شخص طموح من آل خليفة هو أحمد بن محمد والذي استولى على البحرين في يوليو "1783". وحدد أحمد بن محمد الحاكم الجديد استراتيجية منذ البداية على أساس الالتصاق بالقوى الكبرى بشرط ألا تحل محله في الحكم. لذا فبمجرد ظهور بريطانيا كقوة في الخليج العربي وقع معها معاهدة تحالف عام "1784". ولم تكن القبائل العربية التي ظهرت والتي خرجت من بطن قبيلة العتوب متماثلة في حظوظها، فعرفت بعض القبائل حياة الفقر والقحط، الأمر الذي دفع بعضها إلى الالتجاء إلى أعمال القرصنة لكي تستطيع أن تعيش، وكان أبرز تلك القبائل هي قبيلة القواسم والتي ظهرت كقوة مناوئة للملاحة في الخليج في منتصف القرن الخامس عشر، ولم تكن توجد وقتها قوة تستطيع فرض احترامها على سفنها. ومع بدايات القرن التاسع عشر بدأ منحى قبيلة القواسم ونجمها يصعد إلى أعلى

بحيث أصبحت القرصنة إحدى وسائل القبيلة لفرض سيطرتها على القبائل الأخرى. ومع عام 1803 تحالف القواسم والوهابيون ووجد القراصنة مبرراً لأعمالهم واعتبروا أن أعمالهم تدخل ضمن أعمال الجهاد وغلفت بمبرر شرعي، واعتنق القواسم العقيدة الوهابية والتي كانت بمثابة دافع قوي إليهم لدرجة أن قوتهم البحرية بلغت "93" سفينة من الحجم الكبير و800 سفينة من الحجم الصغير، وهي قوة بحرية لا يستهان بها في ذلك الوقت. وأغرى هذا التفوق البحري القواسم للإغارة على الدول الكبرى في الخليج مثل سلطنة مسقط وقتل حاكمها لدرجة أن النزاع قد دب بين أهل السلطنة حتّى اضطر أحد المتنازعين على العرش أن يعلن تبعيته إلى ابن سعود. وقد حدد القواسم استراتيجيتهم منذ البداية على تجنب التعرض للسفن التي تحمل العلم البريطاني وكانت تكتفي بالاستيلاء على السفن الصغيرة ولكن بمجرد التحالف مع الوهابيين تشجعوا على مهاجمة السفن البريطانية لدرجة أن المعتمد البريطاني في منطقة الخليج أرسل إلى حكومة الهند الشرقية ينبه إلى خطر القواسم. وفي عام 1808 حدثت

واقعة جعلت الإنجليز يصممون على ضرورة التخلص من القواسم فأثناء رحلة الجنرال ملكولم إلى فارس استولى القواسم على طرّادين كانا في الرحلة، الأمر الذي اعتبرته بريطانيا تهديداً لدور الشرطي الذي قررت أن تلعبه في منطقة الخليج، لذا فقد تقرر تجهيز حملة بحرية بقيادة الأدميرال وتيرايت وحددت له أهدافاً معينة وهي تدمير مراكز القرصنة والبحث عن أنسب جزيرة لإقامة قاعدة بريطانية ثابتة. وبدأ تنفيذ المخطط في أكتوبر "1809" حيث خرجت من بومباي ثلاث سفن بحرية وثلاث معدات وبدأت تطوف مراكز القراصنة، وهذه الحملة أدت إلى اختفاء القراصنة لمدة عامين من منطقة الخليج ولكن سرعان ما عاد القواسم مرة أخرى عام "1811" ولكن تحت شعار الجهاد، وقرروا تخطي مرحلة الإقليمية والإغارة على ممتلكات بريطانية حتّى وصلوا إلى الساحل الباكستاني ومهاجمة السفن البريطانية على بعد 60 ميلا من بومباي. وقد أحس البريطانيون بقوة القواسم عقب تحالفهم مع الوهابيين وتجنبوا منذ البداية التعرض للوهابيين، ولما فشلت رحلة السيد بروس للتفاهم معهم عام

"1816"، تقرر وبشكل جدي استخدام القوة للتخلص نهائيا من القواسم. وفي عام "1818" كانت بريطانيا قد تمكنت من إخضاع اتحاد المهراتا بعد حرب طاحنة في شبه الجزيرة الهندية عام 1818 ووضعت اختيارات وبدائل القضاء على القواسم. وكان أهم هذه الاختيارات هو الاكتفاء بتدمير مراكز القرصنة وعدم التدخل في الشؤون السياسية إلى قائل بضرورة رسم خريطة جديدة للخليج.

وفي أبريل عام "1819" استقر الرأي على المبادئ الآتية:

1 ـ احترام الأوضاع السياسية الداخلية في الخليج فلا تتدخل بريطانيا لصالح أحد الرؤساء إلا إذا طلب منها ذلك.

2 ـ لا يجب على الهند تشجيع الأتراك على بسط نفوذهم في منطقة الخليج بعد أن استولى إبراهيم باشا على نجد وجميع البلدان التابعة للوهابيين. وعلى ضوء هذه القرارات خرجت حملة بحرية كبرى من بومباي في 3 نوفمبر سنة "1819" لتنفيذ التوصيات، ووصلت الحملة إلى هدفها الأول في رأس الخيمة في أوائل ديسمبر سنة "1819" بتدمير قوة القواسم

ووقعت معاهدة مع شيخ القواسم صالح بن صقر جاء فيها:

1 ـ يتعهد شيخ القواسم بتسليم السفن الحربية الموجودة في رأس الخيمة أو في الشارقة وأبو ظبي.

2 ـ يتعهد الإنجليز بألا يدخلوا أحياء القبائل بغرض تخريبها.

3 ـ يرد العرب مالديهم من أسرى من الرعايا البريطانيين، ورغم ذلك لم يكن في وسع بريطانيا أن تحتفظ بسيطرتها على دويلات الخليج ومنتجاتها من غير أن تحول دون امتداد نفوذ الدول الكبرى الواقعة في المنطقة. ولم تلق بريطانيا أمامها سوى فارس ومصر، وبالنسبة للأولى كانت لا تملك أية قوة بحرية واكتفت بريطانيا معها بالمناورات السياسية لإبعادها عن أي توسع وبقيت قوة واحدة كانت تخشاها بريطانيا هي قوة مصر والتي وصلت في عهد محمد علي إلى منطقة الإحساء عام 1838. وعلاقة المصريين بالمنطقة لم تكن جديدة، ففي عام 1818 تمكن محمد علي من تدمير الدرعية والدولة السعودية الأولى واكتفى بالتدمير ورفض توقيع أية معاهدات مع الإنجليز لإنشاء إدارة منتظمة تحت سلطته معه

واكتفى بالقضاء على الحركة الوهابية.. ولكن حدث أن ضم محمد على الشام إلى ممتلكاته فبدأت تراوده فكرة وضع العالم العربي كله تحت سلطته وكانت أولى الخطوات لتنفيذ ذلك المخطط هي طرد الحاكم السعودي فيصل بن تركي من عاصمته الرياض سنة "1838" وبسط نفوذ مصر على جميع ما كان تحت سلطته، وكان ضمن هذه الممتلكات إقليم الإحساء الذي يحتل جزءاً كبيراً من شاطئ الخليج، وزاد من خوف بريطانيا قيام خورشيد باشا باتخاذ ميناء القطيف مركزاً للاتصال بالإمارات العربية، الأمر الذي اعتبره الإنجليز تهديداً لسلامة خطوط الملاحة التي تربط بين بريطانيا ومستعمراتها بصفة خاصة وتهديداً للملاحة الأوربية بصفة عامة، وزاد هذا الخوف بعد أن تبين أن وجود قوة مثل قوة محمد على تستطيع أن تتحكم في الخط البحري الذي يربط السويس ببومباي والخط الذي يربط بين مرسيليا والإسكندرية وبذلك تقع الإمبراطورية تحت رحمة محمد علي. وزاد من مخاوف بريطانيا ما حدث عام "1835" عندما تمكنت بريطانيا من الحصول على فرمان من الخليفة العثماني يتيح لباخرتين

إنجليزيتين الملاحة في نهري دجلة والفرات، هذا الفرمان زاد من أهمية الخليج وتجارته لصالح بريطانيا لأنه فتح أسواقاً تجارية جديدة كانت بمثابة مصرف للمنتجات البريطانية في آسيا الوسطى. لذا كان لابد من القضاء على الأطماع التوسعية لمحمد علي وكانت أولى الخطوات التي تدل على ذعر الإنجليز هي الترخيص للقائد العام للأساطيل البحرية باتخاذ كافة التدابير التي راها في الصالح البريطاني. وقامت قوة بحرية برئاسة القائد العام لأساطيل السير متلند على رأس قوة بحرية لتهديد كل من يجرؤ على تحدي بريطانيا، ورخصت له باستعمال القوة وتواكب هذا الذعر البريطاني مع ذعر الخليفة العثماني وكراهيته لفتوحات محمد علي. وتلاقي الخوف العثماني مع الطمع الإنجليزي ومقابل التقرب من بريطانيا والوالي العثماني فقد وافق الأخير على التنازل عن عدن ومحمياتها والتي كانت بمثابة شوكة في حلق بريطانيا، فهذه المنطقة تعود أهميتها إلى أنه في حالة حدوث أي هجوم من ناحية الشمال سيكون الخليج العربي أحد أهدافه ومنه يمكن النزول إلى شواطئ شبه الجزيرة العربية وعزلها والالتفاف

حولها وجعلها قاعدة للهجوم على شواطئ بجانب أن هذه المنطقة غنية ببترولها، لذا كان لابد من إقامة قاعدة بريطانية فيها. وقد تنازلت عنها الدولة العثمانية في مقابل وقوف بريطانيا في وجه محمد علي.

ووقتها لم تكن الدولة العثمانية تعرف أن غزو عدن سوف يتيح لبريطانيا تحويل البحر الأحمر إلى بحيرة إنجليزية. وفي عام "1839" وصلت البحرية البريطانية إلى الخليج للوقوف ضد توسعات "محمد علي" ولم يجد الأسطول أية مقاومة من قبل قوات خورشيد باشا التي كانت لا تستطيع مواجهة القوة البريطانية، وكانت أولى نتائج هذه الزيارة البريطانية هي إعادة ترتيب أوضاع منطقة الخليج، وقامت بريطانيا بوضع استراتيجية جديدة تقوم على تفتيت القبائل والإمارات على أساس أنه كلما صغر حجم الإمارة كلما كانت بحاجة إلى الالتصاق والحماية البريطانية بالإضافة إلى انقطاع وتحجيم قوات محمد علي في هذه النقطة. وفي عام "1853" قامت بريطانيا بتنفيذ مخططها في المنطقة بتوقيع اتفاقية سلام نظمت أسس علاقات بريطانيا بهذه المنطقة، هذه الاتفاقية

وقعت بين بريطانيا وبين كلٍّ من سلطان بن صقر عن القواسم وخليفة بن شخبوط عن بني ياس ومكتوم بن بوطي عن العجمان وعبد الله راشد عن أم القوين وسيف بن راشد وسعيد بن راشد عن أبو ظبي وتعهدوا جميعا على احترام معاهدة "1843" والتي كانت شروطها:

1 ـ تحريم أي اشتباك بحري مسلح ابتداءً من يونيو سنة "1843" لمدة عشر سنوات.

2 ـ فرض عقوبة على كل من يخالف هذا الشرط بمجرد أن يبلغ نبأ الاعتداء إلى أحد الرؤساء.

3 ـ قبل توقيع أي عقوبة يتعهد الرؤساء العرب بنقل مضمونها إلى المقيم العام.

4 ـ في نهاية العشر سنوات يتعهد الرؤساء العرب ببذل ما في وسعهم لمد هذه الهدنة أو جعلها دائمة.

ولكن شهر العسل بين بريطانيا وتركيا لم يدم طويلاً، فطوال السنوات السابقة كان هذا الجزء من العالم العربي لا يدخل ضمن اهتمام تركيا، فقد كان مهملا حتّى عام "1869" وهو العام الذي شهد حادثين هامين؛ الأول: هو تولي "مدحت

باشا" ولاية بغداد وكان من دعاة الإصلاح في الدولة العثمانية وكان طموحا فأراد ترتيب أوراق المملكة العثمانية مرة أخرى في المنطقة.. والحدث الثاني: هو فتح قناة السويس للملاحة البحرية، وقتها اكتشفت تركيا أن هذا الطريق ييسر للأسطول التركي العبور إلى البحر الأحمر والخليج الفارسي وصولا إلى الآستانة بالبصرة مباشرة.

الفصل الثالث

قناة السويس البوابة السرية لأفريقيا

"إن البرجوازية لا تستطيع البقاء دون ثورة مستمرة في أدوات الإنتاج وبالتالي في العلاقات الإنتاجية بين الناس وبعضهم، التي تنبثق من استخدام هذه الأدوات وتعمل الحاجة إلى إيجاد أسواق موسعة على ملاحقة البورجوازية في جميع أنحاء الكرة الأرضية".

وبافتتاح قناة السويس للملاحة البحرية وتحجيم القوة العسكرية المصرية بدأت صفحة جديدة من صفحات الاستعمار الأوربي بصفة عامة والبريطاني بصفة خاصة، ولا نكون

مبالغين إذا قلنا أن فتح قناة السويس للملاحة البحرية كان هو السبب المباشر في إقامة إسرائيل على أرض فلسطين والاستعمار الأوروبي في أفريقيا. ساهمت في ذلك عوامل خارجية ليس للمصريين والأفارقة دور فيها. فهذه القارة السمراء ظلت لقرون خارج دائرة اهتمام الاستعمار واتجاه المستعمر الأوروبي إلى الأمريكتين لاستيعاب الفائض من المنتجات والذي ظهر مع الثورة الصناعية. وكانت بدايات الاستعمار الأوروبي مع أفريقيا مجرد نواة من التنافس بين الدول الأوروبية صاحبة الأساطيل التجارية على احتلال مواقع محددة ونقاط ارتكاز على امتداد السواحل الأفريقية من أجل خدمة حركة التجارة المتزايدة من الشرق والهند بالذات عن طريق رأس الرجاء الصالح. وقد تحملت هذه المواقع مسؤولية حماية تحركات السفن على امتداد وقت طويل وكانت محطات خدمة السفن هي النواة الأولى لما عرف فيما بعد باسم الاستعمار الإستراتيجي. ومع بدايات القرن التاسع عشر تغيرت طبيعة محطات خدمات السفن وأصبحت مراكز تجمع لتجارة العبيد وتصديرهم إلى أمريكا لمواجهة الطلب المتزايد

على الأيدي العاملة للعمل في الزراعة. وقد ظلت علاقة الاستعمار الأوروبي مع أفريقيا علاقة محدودة لا تقوم على مفهوم الاستعمار الاستيطاني، وهو نوع من الاستعمار يقوم على الإقامة الدائمة وتغيير الهيكل التنظيمي للمجتمع وبنيته الاجتماعية.

ولكل حدث أمر هام عدل من نظرة الأوروبيين إلى أفريقيا وجعل الدول الأوروبية تتنافس فيما بينها إلى حد الصدام للفوز بأي مستعمرة في أفريقيا، والأمر الذي عجل بتغيير نظرة الأوروبيين إلى أفريقيا هو قيام الثورة الأمريكية وغلق أسواقها في وجه الأوروبيين وذلك بسبب عدة إجراءات اتخذتها إنجلترا في وجه المستعمرة الجديدة فالنظرة البريطانية للمستعمرة كانت أنها مجرد مورد تمويل للوطن وأن أي إجراء يتخذ ضدها هو إجراء طبيعي. وكانت بريطانيا قد خرجت منتصرة من حرب السنوات السبع مع فرنسا والهنود، وكلفها ذلك نفقات باهظة. وقتها بدأ جورج الثالث ووزراؤه يتلفتون من حولهم باحثين عن طرق ووسائل يمكن منها الحصول على مال لسداد الدين العام الكبير ولتغطية

نفقات وفتح المستعمرات الكبرى إذ بلغت المساحة الاستعمارية البريطانية أربعة ملايين و754 ألف ميل مربع يسكنها 88 مليون نسمة. وتحول وادي النيل كله من البحيرات الكبرى من وسط أفريقيا حتّى البحر الأبيض المتوسط واقعاً تحت السيطرة البريطانية. هذه المساحة من المستعمرات كانت بحاجة إلى نفقات وتواكبت مع خروج بريطانيا من حروبها ضد فرنسا.

وجد المستعمر البريطاني ضالته المنشودة في المستعمرات الأمريكية لتكون مورداً لسداد الدين. وبدأت بريطانيا خطوات استفزازية مع المستعمرة الجديدة، كانت أولها إرغام المستوردين على ألا يصدروا بضاعتهم إلا على سفن إنجليزية يعمل عليها بحارة إنجليز كما تمنع تصدير البضائع لغير الموانئ الإنجليزية. وهي فكرة كانت تتماشى مع النظرة الأوروبية عن الغرض من إنشاء المستعمرات وجاء القرار صدمة للمستوطنين الذين أحسوا بالحيرة والاختناق وخاصة أنهم قد أوجدوا لأنفسهم نظاما للحكم الذاتي ومارسوا قوة ابتكار في تنظيم شؤونهم وصياغة حضارتهم الخاصة بهم.

وصار المستوطنون أكثر اعتمادا على أنفسهم وخاصة أن الملك ووزراءه لم يكن لهم مصلحة في المستعمرات ولا يعنون بأمرها، لذا فقد نما على الجانب الآخر من الأطلسي شعب جديد كانوا برغم ولائهم للتاج البريطاني يضعون تفسيراً خاصاً للدستور الإنجليزي لذا فقد أصيبوا بالحيرة من القوانين والفرمانات التي كان يصدرها القصر وخاصة أن إنجلترا كانت لا تتقاضى ضرائب من كندا واستراليا وغيرها من الدول الأعضاء في الكومنولث البريطاني بل إن الضرائب كانت تفرض في هذه المستعمرات بقوانين تصدرها المجالس النيابية والجمعيات المختلفة في هذه البلاد. هذه المفارقة في التعامل بين المستعمرات جعلت المهاجرين الجدد يعلنون ثورتهم ضد التاج البريطاني ويحصلون على استقلالهم بموجب معاهدة الصلح في 3 سبتمبر سنة "1783"، ومع إعلان مبدأ مونرو وهو مبدأ عدم التدخل في صراعات العالم القديم أو أي صراعات إلا من أجل مصالح التجارة الأمريكية.

وبقيام الثورة الأمريكية وغلق أسواقها أصيب الوطن الأم بأزمة حقيقية تمثلت في غلق سوق للمنتجات ووقف وصول

المواد الخام، وأصبح رأس المال يضغط على القصر لإيجاد سوق جديد كبديل للسوق التي أغلقت، لذا فقد ولي الإنجليز وجههم شطر أفريقيا لمواجهة الطلبات المتزايدة لثورتهم الصناعية وتابع الإنجليز باقي الدول الأوروبية وشهدت أفريقيا صراعاً عنيفاً بين الدول الأوروبية للحصول على أية مساحات من أراضيها وكادت أن تحدث حروب بين هذه الدول. الأمر الذي حرك ملك بلجيكا إلى الدعوة لعقد مؤتمر بين الدول الأوروبية الكبرى من أجل تنظيم خطة الاستكشاف وتوزيعها بين الدول الأوروبية المختلفة، ومع تزايد الصراع بين الدول السابقة لجأ كل منهم إلى وسائل لتدعيم وجوده في القارة الجديدة. ورأت إنجلترا أن الحل الأمثل للحفاظ على قوتها ومستعمراتها هو غلق كافة المنافذ المؤدية إليها، لذا فكان لابد من تحويل البحيرات والممرات الموجودة في العالم القديم تحت يدها. وكان افتتاح قناة السويس للملاحة البحرية كشريان مائي أسهل الوسائل في يد بريطانيا للحفاظ على مستعمراتها في الهند وفي أفريقيا، لأن أفريقيا، بطبيعتها الجغرافية أشبه بالقلعة المنعزلة إلا أن أبوابها السرية على

ندرتها قد تسمح بالدخول إليها؛ وأهم هذه الأبواب شبه جزيرة سيناء والبحر الأحمر، وهما اللذان تسرب منهما الاستعمار القديم. وأما غير هذين البابين فلن يجد المستعمر طريقاً للدخول فكافة المنافذ الأخرى عبارة عن سلاسل من المرتفعات الضخمة ذات التدريج الوعر تقوم على ساحلها الضيق ذي المعالم الغامضة، باعتبارها البوابة الوحيدة إلى المستعمرة الجديدة. وكانت القوة المصرية أيام محمد علي تخشى ويعمل حساب لها بين قوات العالم القديم وظل الإنجليز منتهزين فرصة تواتيهم لغزو مصر في عام 1878. وعندما كانت حكومة الخديوي على وشك التوقف عن دفع الديون لحاملي الأسهم في القناة تخلى الإنجليز عن مبادئهم القديمة القائمة على فكرة أن الرعايا الإنجليز الذين يستثمرون أموالهم في دولة أجنبية إنّما يفعلون ذلك على مسؤوليتهم الخاصة. وتحت شعار تحصيل الدين المستحق للرعايا البريطانيين غزت إنجلترا مصر وهزم أحمد عرابي في موقعة التل الكبير في "13" سبتمبر "1882". ولما كان الاستعمار الإنجليزي هو استعمار استيطاني في المقام الأول، فكان لابد

أن يتفرع منه استعمار استراتيجي حتّى لا تضيع منه مستعمرات جديدة مثل المستعمرة الأمريكية، فكان لابد من منع أي محاولة لقيام أي قوة مصرية وعربية. وبخبرة السنين عرف الإنجليز أن أمن مصر يبدأ من الشام وأن المصريين دائما حققوا انتصاراتهم خارج أراضيهم لأنهم عرفوا ومنذ البداية أن أمنهم يبدأ من عند سوريا. ولما كانت فلسطين ثغرة بين تركز القوة السياسية والحضارية في كل من وادي النيل في مصر وأراضي النهرين في العراق، أي أنها كانت دائماً فاصلاً بين العربي الأفريقي والعربي الآسيوي، وبافتتاح قناة السويس للملاحة البحرية تحولت مصر من أهم قاعدة عربية إلى أهم قاعدة بحرية في العالم، وعرف البريطانيون أن خط الدفاع الأول عن القناة ـ البوابة الوحيدة لأفريقيا ـ يبدأ من فلسطين، تلك الثغرة بين سوريا ومصر ولحماية هذه البوابة السرية كان لابد من زرع جسم غريب داخل الجسم العربي الموحد، ذلك الجسم هو مزرعة الخنازير المسماة بإسرائيل. ولتبرير زرع هذا الجسم بدأ الاستعمار يروج لفلسفة غريبة تقوم على أن بلاداً لها مثل هذه الأهمية لباقي دول العالم لا

يمكن أن تكون مستقلة لأهميتها لكل الدول الاستعمارية.

وحتى لا تفاجأ بريطانيا بثورة جديدة مثل الثورة الأمريكية في أفريقيا ولضمان السيطرة على البوابة السرية لأفريقيا كان لابد من أن تقيم بريطانيا دولتين جديدتين في الوطن العربي. الأولى كانت دولة آل سعود على الأراضي الحجازية والثانية دولة اليهود على فلسطين. وقام كل من أسرة آل سعود واليهود بمهام محددة لخدمة المشروعات الاستعمارية البريطانية في أفريقيا حتّى لا يستطيع أي منصف أن ينكر أن عرش وملك آل سعود كان مهره وثمنه أرض فلسطين. أما عن تفاصيل الدور الذي قام به اليهود لحماية البوابة السرية لأفريقيا، ودور آل سعود لتسهيل مهمة بريطانيا في زرع الجرثومة اليهودية في الجسم العربي فهي التي سوف نتعرف عليها من خلال الفصلين القادمين.

الفصل الرابع

اليهود من التيه إلى أرض الميعاد

"إننا نأمل أن نكون أبناء جيل لم يشأ فقط إنقاذ شعبه من

هاوية الدمار بل أيضاً ولادته من جديد في بلد أجداده".

"الحاخام مردخاي شبلرم"

لماذا اختار الأنجليز اليهود تحديداً ليزرعوهم على أرض فلسطين كقاعدة بشرية تهدد أمن مصر وتقطع الصلة بين العربي الأفريقي والآسيوي ولتحمي قناة السويس البوابة السرية للقارة الأفريقية، وهذا الاختيار هل كان بدافع انساني أم كانت هناك صفقة مشبوهة عقدت بين الإنجليز وقادة اليهود؟ والإجابة عن مثل هذه التساؤلات تجعلنا نغوص في أعماق التاريخ البعيد منذ نجاة نبي الله موسى حتّى استقرار اليهود في الأحياء الأوروبية المعروفة باسم الجيتو ثم ثورة المسيحيين والمطالبة بتخليص أوروبا منهم، حيث تزامن ذلك كله مع المشروع البريطاني بضرورة استيطان قاعدة بشرية لتحمي قناة السويس وظهور الصهيونية العالمية ودعوتها بضرورة البحث عن وطن لليهود في أي مكان في العالم بعد ثورة المسيحيين بسبب أعمالهم وتصرفاتهم، واليهود لديهم شعور بالتمايز والاختلاف عن الآخرين أدى إلى اعتناقهم فكرة النقاء العنصري. وهذا بدوره كان راجعاً إلى تصورهم

عن الله عز وجل، فهم يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار وشعوب العالم في مركز منحط يطلقون عليهم كلمة الأممين وأن يهوه إله شعب إسرائيل قد أكد تمييز اليهود عن باقي البشر، فقد قال "تميز أرواح اليهود عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله كما أن الابن جزء من والده". ومن ثم كانت أرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة لباقي الأرواح لأن الأرواح غير اليهودية هي أرواح شيطانية وشبيهة بأرواح الحيوانات ولا يدخل الجنة إلا اليهود أما الجحيم فهي مأوى الكفار. وبما أن اليهود جزء من الله كما أن الابن جزء من أبيه، لذلك فقد جاء في التلمود "أنه إذا ضرب أممي إسرائيلياً فالأممي يستحق الموت". وقد صور التلمود غير اليهود بأنهم حيوانات في صور إنسان، وهم حمير وكلاب وخنازير بل الكلاب أفضل منهم "وخلق الله الأجنبي على هيئة الإنسان لائقا لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا لأجلهم". والربا محرم في اليهودية فقد قال النبي نحميا في الإصحاح الخامس من كتابه: "أنى يكبت العظماء والولاة وقلت لهم أنكم تأخذون الربا كل واحد من أخيه" والمقصود هنا بإشارة نحميا أن

الربا المحرم هو الربا الذي يأخذه الإسرائيلي من أخيه لأن الربا المأخوذ من أبناء الأمم الأخرى مباح. والإصحاح الثالث والعشرون من سفر التثنية صريح في إباحة أخذ الربا من الأجنبي حيث يقول مخاطبا شعب إسرائيل: "وللأجنبي تعرض بربا ولكن لأخيك لا تعرض بربا لكي يبارك العمل في كل ما تمتد إليه يدك". هذه كانت عقيدة اليهود في المعاملات الاقتصادية، أما عن عقيدتهم الحربية فالأسرى يعاملون كالطريدة من الحيوان. فالإصحاح العشرون من كتاب التثنية يقول: "حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير وتستعبده لك وإن لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها وإن دفعها الرب العمل إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، أما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة وكل غنيمتها فاغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب العمل هكذا تفعل جميع المدن البعيدة منك جداً التي ليست مدن هؤلاء الأمم هنا أما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة

ما، بل تحرمها تحريماً". أما عن علاقة اليهود بباقي الشعوب وباقي الخلق فهو ما نتعرف عليه من سفر التكوين حيث زعم أن إسرائيل سأل إلهه قائلاً: "لماذا خلقت خلقا سوى شعبك المختار؟" فأجابه قائلا: "لتركبوا ظهورهم وتمتصوا دماءهم وتحرقوا أخضرهم وتلوثوا طاهرهم وتهدموا عامرهم". هذه الأكاذيب اليهودية عن المعاملات المالية والعلاقة بين الآخرين كتبت كلها في التيه. ولعل أخطر أكاذيب اليهود هي الأكذوبة المنسوبة فيه العودة إلى فلسطين إلى وعد إلهي، فعندما تمكن رمسيس ومن بعده ابنه بنفتاح من تخليص مصر من سيطرتهم وأنقذهم سيدنا موسى وأخوه عبر بهم البحر ظلوا هناك في التيه أربعين عاماً وعندما أرادوا العودة مرة أخرى كتبوا في سفر التكوين الإصحاح 9:1 - 6.

وقد جاء في السفر: "اسمع يا إسرائيل أنت اليوم عابرا الأردن لكي تدخل وتمتلك شعوبا أكثر وأعظم منك ومدنا عظيمة ومحصنة إلى السماء قوما عظاما وطولا وبنى عناق الذين عرفتهم وسمعت من يقف في وجه بني عناق فاعلم اليوم أن الرب إلهك هو العابر أمامك ناراً آكلة وهو يبددهم

ويبذلهم أمامك فتطردهم وتهلكهم سريعاً، كما كلمك الرب لا تفعل في قلبك حين يتغيهم الرب إلهك من أمامك قائلاً لأجل بري أدخلني الرب لأمتلك هذه الأرض ليس لأجل برك وعدالة قلبك تدخل لتمتلك أرضهم بل كلي يعني بالكلام الذي أقسم الرب عليه لآبائك إبراهيم وإسحاق فاعلم أنه ليس لأجل برك يعطيك الرب إلهك هذه الأرض الجيدة لتمتلكها لأنك شعب صك الرقية". هذا التزوير والزيف "لله" أصبح عقيدة لليهود يتحركون بها وأصبحت هذه المبادئ استراتيجيتهم، لذا فعندما وصلوا عام 1186 ق.م إلى بلاد الأردن بقيادة "يوشع بن نون" عبروا النهر واستولوا على المدينة ونهبوا أموالها واختاروا شاؤل ملكاً لهم ولكن في عام 597 ق.م أغار عليهم بختنصر ملك الكلدانيين على مملكة يهودا واستولى على أورشليم وأحرقها ودمر هيكل سليمان وأخذ معه خمسين ألفاً من اليهود كأسرى إلى بابل وفي عام 538 ق.م سمح كورشي الفارسي لسبايا اليهود بالعودة إلى ديارهم فعاد القليل وفضلت الغالبية البقاء في المنفي. وفي عهد الحاكم الروماني "هاو ربان" تكرر مشهد غدر اليهود فبعد أن مكنهم وأبعدهم عن

الاضطهاد توغلوا في البلاد مرة أخرى وأرادو الثورة عليه، فما كان منه إلا أن قتلهم وفرت الغالبية العظمى منهم إلى قلعة على قمة البحر الميت. وكانت بها حامية رومانية وطالبوا قائد الحامية بالاستسلام مقابل عدم قتله، ولكنهم بمجرد أن استسلم القائد قاموا بقتل كل الرومانيين، الأمر الذي أثار ثائرة الرومان، وطاردوا اليهود وقتلوا كل من في القلعة وفرت البقية الباقية منهم إلى مملكة الخرز في روسيا واعتنق بولان ملك الخرز الديانة اليهودية في عام 470 ميلادية وتبعته حاشيته وأصبحت اليهودية هي الديانة الرسمية للمملكة ولكنه حلم لم يدم طويلا فقد غزة الدولة البيزنطية المملكة والتي كانت تسمى كارزيه عام "969"، وتفرق اليهود في كل أوروبا. وبتفرقهم قررت أوروبا الحيطة والحذر منهم بسبب عقيدتهم وأطماعهم وأصدرت الكنيسة عام 1179 في مؤتمر لاتيران الثالث توصيات بفصل المسيحيين عن اليهود وكانت حكومة فينسيا أول من طبق هذا القرار حيث صدر قرار بإيداع اليهود الموجودين بالمدينة في حي المسبك القديم والذي عرف فيما بعد باسم الجيتو. وهو حي كان يوجد على أطراف

المدينة، وقد روعي في تأسيسه أن يكون محدد المساحة محاطاً بأسوار عالية تفتح أبوابه في الصباح وتغلق بالليل ويحظر على أي يهودي التواجد خارج الجيتو، ولا يسمح لأي مسيحي بالتواجد داخله. وإذا أراد يهودي الخروج إلى خارج الجيتو فعليه أن يرتدي علامات وإشارات تحدده بحيث يتعرف الناس عليه فكانت شارة حمراء وقبعة حمراء في إيطاليا وفي ألمانيا كانت شارة صفراء وكانت الحكومات الأوروبية جميعاً متفقة على عدم منح اليهود أية مساحة لتوسيع الجيتو فأصبح اليهود يواجهون الزيادة السكانية بالتوسع الرأسي الأمر الذي سبب انهيارات المنازل على رؤوسهم وتحولت أفراحهم إلى مأتم. وهذا السجن سبب لليهود إحساسا بالاضطهاد، فكانوا على استعداد تام لتنفيذ مطالب أية دولة في مقابل تخليصهم من هذا السجن، خاصة بعد مقتل القيصر اسكندر الثاني في روسيا عام 1881. وحامت الشبهات حول اليهود فاندلعت عاصفة من ذبح اليهود، زاد من تأكيدها تكرار نفس الحادث في فرنسا حيث اتهم الفريد دريفوس الضابط بالمدفعية الفرنسية بالتجسس وبيع الوثائق لصالح ألمانيا وقدم إلى

المحاكمة وتمت إدانته، وثارت ثائرة الفرنسيين وطالبوا بطردهم من فرنسا. وهكذا كان حال أوروبا واليهود فيها قوماً غير مقبولين من أي شعب، وقتها كانت الإمبراطورية البريطانية قد توطدت أقدامها في البلدان العربية ولكن شعوبها دائماً في حالة ثورة. وقتها قدم اليهود أنفسهم على أنهم يمكن أن يكونوا مندوباً عنهم وقطعة مرتبطة بها أبقى لها من أي جيش مسلح، فإذا غطت إنجلترا مصلحتها في وجود هذا الجسم الغريب في الجسم العربي بغطاء إنساني شفاف هو الرغبة في حل المشكلة الأوروبية وحل مشكلة اليهود، فإذا تحقق ذلك تحول كل يهود العالم إلى عملاء لها بأموالهم وانتشارهم في أوروبا، وهكذا استطاع الإنجليز مزج أهدافهم السياسية والمصلحية بشعارات تبدو إنسانية. وكانت أولى الخطوات عام 1914 عندما كتب حاييم وايزمان إلى صديقه رئيس تحرير المانشيستر جارديان شارحا الخط الصهيوني والتي جاء فيها: " من الممكن الآن أن نقول أنه إذا وقعت فلسطين في دائرة النفوذ البريطاني وإذا شجعت إنجلترا بعد ذلك توطن اليهود هناك، مستعمرة بريطانيا فإننا نستطيع أن

نوجد خلال الثلاثين سنة القادمة حوالي مليون يهودي في تلك البلاد فيطورونها وينقلون الحضارة إليها ويكونون بمثابة حرس فعال لقناة السويس". وبتلك الرسالة حدد الطرفان شروطهما فكانت الطلبات اليهودية هي تسهيل استيطان اليهود في فلسطين في مقابل استمرارهم في خدمة مصالح إنجلترا بحراسة قناة السويس لحسابهم، وفي مارس 1915 بدأت بريطانيا تتخذ الخطوات الرسمية لتنفيذ زرع اليهود في فلسطين فأرسل سير إدوارد جاري وزير الخارجية إلى سير إدوارد بوكانان سفير إنجلترا في سان بطرسبورج عاصمة روسيا القيصرية في ذلك الوقت مذكرة يشرح فيها رأى الحكومة البريطانية في العلاقة بين فلسطين والصهيونية. وقد رد الروس على المذكرة بالموافقة بشرط المحافظة على مصالح الكنيسة الروسية في الأراضي المقدسة وقد عين في نفس السنة "مارك سايكس" مساعداً لوزير الحربية البريطاني وأصبح الشرق الأوسط داخلا في اختصاصه وبعد وصول مذكرة سير إدوارد جراي إلى سان بطرسبورج بقليل وصل سايكس إلى العاصمة الروسية والتي انتهت باتفاقية

"سايكس ـ بيكو"، المعروفة في التاريخ العربي وقد أقنع مارك سايكس جورج بيكو وزير خارجية فرنسا بأهمية إعطاء الصهيونية حق إقامة وطن قومي في فلسطين وانتهت الاتفاقية بتسليم فلسطين إلى إنجلترا دون البت في مسالة منح اليهود حق إقامة وطن لهم في فلسطين، ولكن بعد تشكيل الوزارة الجديدة في بريطانيا بشهرين عقد في منزل "موسى جاستر اليهودي" لقاء بين مارك سايكس وهربرت صموئيل وحاييم وايزمان وهاري ساشر، وقد تكلموا في ضرورة إعطاء اليهود صفة قومية ووضعاً رسمياً في فلسطين مع منح نفس القومية لكل يهود العالم دون أن يكون لها أثر على وضعهم في بلادهم من الناحية السياسية، كما طالبوا بإباحة الهجرة إلى فلسطين دون قيد، ورد سايكس أن هناك بعض الاعتبارات التي قد تحول دون تحقيق هذه المطالب كلها فروسيا مترددة والعرب سوف يعارضون وفرنسا ما زالت ترى أن تكون "سوريا الكبرى" كلها من نصيبها بعد الحرب بما فيها فلسطين. وكان الرد اليهودي أن الكيان الذي سيولد سيكون جزءاً من الإمبراطوية البريطانية وحارساً مضمونا

لها في المنطقة. وبدأ الطرفان مساعيهما لحل العقبات التي تواجه تنفيذ الحلم.

وحل اليهود مشكلة روسيا بالموافقة على مبدأ إقامة هيئات دولية تشرف على الأماكن المقدسة، فبقيت فرنسا التي تطلب سوريا كلها بما فيها فلسطين ثم إيطاليا التي يوجد فيها نفوذ البابا المسيحي. وفي 8 فبراير 1917 رتب سايكس لقاء بين سوكولوف وزير خارجية روسيا وجورج بيكو وزير خارجية فرنسا بمقر السفارة الفرنسية بلندن. وقال سوكرلوف: الصهيونيون يعتقدون أنه من المهم جدا لمصالحهم أن تكون إنجلترا هي التي تشرف على فلسطين بعد الحرب ونجح سوكولوف في كسب جورج بيكو ولكن بقي أن يكسب ثقة الوزارة الفرنسية التي كان معظم أفرادها يتمسكون بضرورة استيلاء فرنسا على سوريا الكبرى كلها.

وفي مارس سافر سوكولوف مع سايكس إلى باريس حيث تمكن حاييم وايزمان من إقناع أسرة روتشيلد اليهودية وأغنى الأسر في فرنسا على الإطلاق بضرورة التدخل بكل نفوذها وثقلها المالي للضغط على الوزراء والحكومة الفرنسية

وعندما سافر سايكس إلى إيطاليا لإقناع البابا عاد مرة أخرى إلى فرنسا ليجد "جول كامبون" سكرتير عام وزارة الخارجية الفرنسية يسلمه بياناً بإعلان تأييد الحكومة الفرنسية لمطالب اليهودية "الصهيونية" وأصبحت بذلك روسيا وإيطاليا وفرنسا. وهكذا أعلن بلفور في نوفمبر 1917 وعده الشهير في صورة كتاب إلى روتشيلد. وكانت رسالة بلفور إلى روتشيلد نصها كالآتي: "يسرني أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة صاحبة الجلالة التصريح التالي الذي ينطوي على العطف على أماني اليهود والصهيونية وقد عرض على الوزارة وأقرته وأن حكومة صاحبة الجلالة لتنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين وستبذل جهودها لتسهيل تحقيق هذه الغاية". وقد احتوت الرسالة على مفهومين أساسيين الأول تأييد إنجلترا لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين والثاني تعاون إنجلترا مع اليهود لتحقيق هذا الهدف. وبعد مرور شهرين على هذا الوعد في 7 ديسمبر من العام ذاته استولت قوات الحلفاء على بيت المقدس وسلم ورئيس البلدية العربي مفاتيح المدينة إلى

قائد فرقة الستين، وفي "9" ديسمبر سار الجنرال اللنبى في المدينة المقدسة بصحبة ممثلي قوات التحالف وأعلن قيام إدارة عسكرية باسم الإدارة الجنوبية لبلاد العدو المحتلة ودخلت فلسطين في تلك الإدارة، وكانت سوريا الداخلية حتّى العقبة إدارتها عربية وعلى رأسها فيصل بن الشريف حسين، أما لبنان وسواحل سوريا فجعلت لفرنسا. وقد اتضح من هذا التقسيم نية الحلفاء في توزيع التركة وتنفيذ وعد بلفور، وعندما أرسل فيصل إلى اللنبى يعلمه عن عجزه كبح جماح العرب ما لم يصدر بياناً رسمياً عاجلا يوضح فيه نواياهم. وأصدرت الحكومتان البريطانية والفرنسية في 7 نوفمبر 1918 بياناً جاء فيه أن غرضهما هو التحرير التام للشعوب التي طال اضطهاد الترك لها وإقامة حكومة قومية فيها. وفي هذه الأثناء حرصت بريطانيا على جعل إدارة فلسطين في يدها هي فقط، وقد شعر العرب منذ بداية تأسيس الحكم العسكري بخطرين؛ الأول هو شعورهم بالانفصال عن الوطن الأم سوريا، والخطر الثاني مخاوفهم الشديدة الناجمة عن تصريح بلفور، وفي ذلك الوقت تحديدا لم يكن في فلسطين جهاز

سياسي وطني ولا منظمات ولم يكن لعرب فلسطين من يتكلم باسمهم في بداية الاحتلال العسكري سوى الشريف حسين. وحرصاً من بريطانيا على أن تجعل تصريح بلفور أمراً نافذا فقد وافقت على إرسال بعثة صهيونية برياسة وايزمان إلى فلسطين، وكانت لها مهمة محددة وهي أن تكون حلقة الوصل بين السلطة البريطانية ويهود فلسطين وأن تقوم بمساعدة اليهود على الهجرة إلى فلسطين وتجديد المستعمرات وتطويرها وتنظيم اليهود بشكل عام، وأن تدرس إمكانية وضع خطة لتأسيس جامعة يهودية، وفي 8 مارس 1918 رحلت أول بعثة صهيونية إلى فلسطين برئاسة وايزمان وقد استقبلها الملك جورج الخامس وأظهر له اهتماما عظيما بمشروعات الصهيونية وتمنى له النجاح في مهمته. ووصلت البعثة إلى يافا في 4 أبريل 1918 ورحبت السلطة العسكرية بأعضائها وحل وايزمان ضيفاً على اللورد اللنبى وأعطيت لها كافة التسهيلات في تنقلاتها لتقديم المساعدة لليهود وتلقي الإعلانات المالية من الولايات المتحدة وبريطانيا والقيام بما تراه من التحريات والتدخل المباشر الصريح وعمدت اليهود

مظاهر الفرح إثر دخول البعثة فلسطين. وفي 27 أبريل 1918 أتيح لوايزمان فرصة مبكرة للتمهيد لغرض الزيارة عندما أقام الكولونيل ستورس حاكم القدس مأدبة عشاء دعا إليها النخبة الموجودة في فلسطين، ووقف الحاكم العام فقال أنه بالنظر إلى سوء الفهم والمخاوف المستفحلة عند العرب بشأن الصهيونية أنتهز فرصة وجود الوفد الصهيوني في القدس ليتيح لوايزمان الفرصة لبسط مقاصد الصهيونية وأغراضها. ووقف وايزمان ليقول أن اليهود يعودون إلى الماضي ليصلوا الماضي بالحاضر من أجل إعادة خلق مركز فكري وأدبي، وأن هذا المظهر الروحي هو المعنى الحقيقي للوطن القومي. ولكن هذا الوطن يجب أن تكون له جذوره في أرض فلسطين وأن يأخذ القوة منه، لذلك فقد حرص الصهيونيون على خلق الظروف التي تجعل التطور القومي والروحي لليهود الذين يرغبون في الهجرة لفلسطين أمراً ممكناً.

الفصل الخامس

أول تدخل غربي لتنفيذ وعد بلفور

"عقيدة الاستعمار هي أن كل عقيدة صحيحة صادقة إلى المدى الذي تخدم فيه مصالح الاستعمار وأن العقائد يجب أن يصيبها تطور وتحرك وتغيير يتقرر لدى الاستعمار تقريراً تاما بمقدار التطور والتغيير والتحرك في تلك المصالح والمحافظة عليها".

في يناير 1919 عقد مؤتمر الصلح في فرنسا ولم يحضر أي ممثل من فلسطين وحضر الأمير فيصل نيابة عن أبيه الشريف حسين، ومن وقت وصول فيصل إلى باريس وبريطانيا تحاصره واستخدمت كل نفوذها لتجعل وضع وعد بلفور موضع التنفيذ وأن تكون هي الدولة المنتدبة. ووضعت في وجه فيصل العراقيل وشنت عليه حرب أعصاب لكي يستسلم لها ورأى فيصل نفسه في موقف حرج لأنه لا يستطيع أن يواجهها بمفرده فضلاً عن أنه يرى أصدقاءه البريطانيين يلاحقونه ويضغطون عليه لقبول الاقتراحات

البريطانية. وكان والده قد طلب منه تعليمات محددة في التعامل مع بريطانيا بشأن إلزامها بتحقيق وعدها، وقامت فرنسا من ناحيتها بالضغط عليه حتّى فكر في ترك المؤتمر، ولكن بريطانيا التي كانت قد رسمت منذ البداية مخطط توزيع التركة العثمانية واستطاعت الحصول على مذكرة من الأمير فيصل يقول فيها أن اليهود قريبون جدا من العرب، وليس هناك تعارض بينهم في المبادئ لكن العرب لا يمكنهم المخاطرة بتحمل مسؤولية إدارة الأمور في إقليم تتصادم فيه الأجناس والديانات وطالب بأن تتحمل إحدى الدول الكبرى المسؤولية وطالب بأن تقوم إدارة محلية تمثل سكان البلاد وتستطيع توفير الرخاء لهم. وقدم فيصل هذه المذكرة مقابل أن تؤيده بريطانيا في مطالبه بتنفيذ وعودها لكن بريطانيا اكتفت بالمساعدة في أن يكون للحجاز مقعدان في مؤتمر الصلح. وبذلك حصلت بريطانيا على موافقة المتحدث الرسمي باسم العرب وفلسطين على مذكرة تتيح لها التصرف في فلسطين بالطريق التي تراها لتحقيق المطالب التي قالها فيصل في مذكرته أثناء مؤتمر الصلح. وهي عدم قدرته على تحمل

مسؤولية إدارة دولة تتصارع فيها الأجناس، ولعبت فرنسا دور المساعد على تنفيذ المشروع البريطاني فعندما طلب ممثلو الدول في جلسة سرية يوم 20 مارس 1919 إرجاء البحث في القضية العربية إلى أن تتألف لجنة تحقيق تتولى دراسة الحالة في سوريا وفلسطين لوضع تقرير عن وجهة النظر السورية والفلسطينية رفضت الدولتان هذا الاقتراح. لينتهي مؤتمر الصلح وقد تمخض عن وضع نظام الانتداب ونظام عصبة الأمم وفي 28 يونية 1919 تم التوقيع على ميثاق عصبة الأمم ودخلت فلسطين تحت الإدارة البريطانية رغم أن نص المادة "22" من ميثاق العصبة والذي بنى عليه صك الانتداب البريطاني نص على إعطاء فلسطين اختيار الدولة المنتدبة، لكن شيئا من هذا لم يحدث، هذا هو الدور البريطاني الخارجي لتمهيد الطريق لإقامة وطن قومي لليهود. ولعبت بريطانيا دورا داخليا في فلسطين لتمكين اليهود من السيطرة.

**** التدخل البريطاني لقمع المظاهرات:**

في يوم 4 أبريل من كل عام يخرج أهل القدس حسب عاداتهم لاستقبال أهل الخليل الذين يزورون القدس في نفس اليوم من كل عام قاصدين زيارة مقام النبي موسى وتصادف هذا اليوم أن يكون عيد الفصح عند المسيحيين وأثناء الاحتفال حدث أن صيدليا يهودياً يدير صيدلية في باب الخليل أهان المتظاهرين العرب وحاول الاعتداء على علم الخليل فطارده المتظاهرون فلجأ إلى الصيدلية فهجموا عليه وضربوه حتّى أدموه، وجاء بعد ذلك شاب يهودي ومعه سبعة من الجنود البريطانيين وهجموا على المتظاهرين وأطلقوا النار عليهم فأدى ذلك إلى موت تسعة أفراد وجرح المئات ولم يكتف الإنجليز بالتدخل ضد الأهالي بل شكلوا محكمة عسكرية لمحاكمة المتهمين وتشكلت لجنة لبحث أسباب الاضطرابات والتي أرجعت السبب إلى اليهود، وألغى تقرير اللجنة وتقرر عزل الجنرال موين القائد العسكري البريطاني في فلسطين وعزل معه عدد من الضباط بعد أن اكتشف تعاطف هؤلاء

الضباط مع أهل فلسطين وأدانوا في تقريرهم اليهود.ومنذ ذلك الوقت اكتشفت اليهود أن بريطانيا لن تتردد في تنفيذ أية مطالب لهم طالما كانوا هم ملتزمين بقبول وضعهم كقاعدة عسكرية لتخدم بريطانيا. وقد تواكبت أحداث الاضطرابات في القدس مع عقد مؤتمر سان ريمو فأسرعت بريطانيا بالضغط على الدول الأعضاء في المؤتمر لقبول فكرة الانتداب وتنفيذ نص المادة "22" من صك الانتداب. وأسرعت الدول الأعضاء بتصفية خلافاتها خاصة دول الحلفاء لدرجة أنهم أضافوا مادة جديدة إلى معاهدة سان ريمو، وهذه الفقرة "توافق الدول الموقعة على هذه المعاهدة بموجب المادة "22" من صك الانتداب وتعهد بإدارة فلسطين بالحدود التي ستقررها دول الحلفاء إلى دولة وصية تختار من الدول المذكورة وتكون الدولة الوصية مسؤولة عن تنفيذ التصريح الذي فاه به بلفور في تشرين الثاني في "1917" بالنيابة عن الحكومة البريطانية والذي وافقت عليه دول الحلفاء والواردة في تأسيس فلسطين. وقد اجتمع المجلس الأعلى للحلفاء في 25 أبريل 1920 وقرر وضع العراق تحت الانتداب الإنجليزي

ووضعت سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي ودخلت فلسطين تحت الانتداب البريطاني مع تنفيذ وعد بلفور.

وبوضع فلسطين تحت الانتداب بدأت مرحلة جديدة ضمن مراحل تنفيذ حلم الدولة اليهودية على الأرض العربية، وهذه المرحلة تعد أهم المراحل فطوال الفترة السابقة كانت البلاد موضوعة تحت إدارة عسكرية، وكان اليهود يرون أن الإدارة العسكرية لن تحقق لهم الآمال المرجوة، لذا قامت بريطانيا باستبدال الحكومة العسكرية بحكومة مدنية ووضعت على رأس هذه الحكومة المدنية رجلاً صهيونياً لعب دورا هاماً في تاريخ اليهود، هذا الرجل هو السيد هربرت صموئيل أول حاكم مدني لفلسطين وكان تعيين هذا الرجل أول إعلان صريح عن إقامة الدولة فهو رجل يهودي الديانة وأحد المشاركين في صياغة وعد بلفور وقد حددت له مهمة أساسية وهي إرساء دعائم الدولة اليهودية في المنطقة العربية. وقد بدأ الرجل في تنفيذ المخطط اليهودي الإنجليزي بوضع البلاد في حالة اقتصادية وسياسية تخدم مصالح اليهود على حساب العرب. فعن مخططه الاقتصادي قام بمنع تصدير الحبوب والزيتون

وهما أساس ثروة البلاد، وذلك كي تصاب الأسواق بحالة من الكساد وتهبط أسعار الحبوب المصدرة ويعجز بالتالي الفلاح عن سداد الضرائب المستحقة عليها فيضطر لبيع أرضه لسداد الضرائب والديون. وكانت الخطوة الثانية هي تصفية البنك الزراعي العثماني والذي كان يقرض الفلاحين وقام بالاستيلاء على حصيلته بالإضافة إلى تحصيل ديونه قسراً من الفلاحين. وأمام هذا الضغط على صغار الفلاحين لبيع أراضيهم خطة دعائية تقوم على أن العرب هم الذين باعوا أراضيهم عن طيب خاطر إلى اليهود. وهذه القصة عارية تماما من الصحة وحكاية بيع العرب أراضيهم إلى اليهود دل التاريخ على كذبها. ففي الماضي كانت العادة تقوم على أن يهب الفلاحون آراضيهم إلى الخليفة العثماني ولكنهم يستمرون في زراعتها واستثمارها مقابل حصول الخليفة على خمس ريع زراعة الأرض، مقابل ذلك تعفيهم الحكومة من حصة العشر ورسم الويركو وهذه الأراضي بعد الاحتلال البريطاني كان طبيعا أن تنتقل إلى الحاكم الجديد للبلاد وهم الإنجليز الذين أصبحوا ملاكا لهذه الأرض، وهذه ليست نهاية الأكذوبة فلها بقية،

فكافة ملاك هذه الأراضي كانوا من كبار العائلات في لبنان وسوريا، وكانوا جميعاً يستأخرون اهل القرى فى زراعتها، وذلك كله مقابل اعترافهم بملكية الخليفة لها وبهذه الطريقة استطاع كبار الإقطاعيين الحصول على مساحات شاسعة في البلاد وعقب انتهاء الخلافة العثمانية وصيرورة الحكم إلى الإنجليز أصبحت كافة الأملاك ملكا خاصاً للحكومة الإنجليزية وخاصة أن قرار الانتداب فصل سوريا ولبنان ووضع الدولتين تحت الانتداب الفرنسي فكان طبيعياً أن تصبح التركة العثمانية في فلسطين ملكاً للإنجليز وعرفت تلك الأراضي باسم الأرض المدورة وقام هربرت صموئيل بتوزيع هذه الأراضي على اليهود داخل فلسطين وأصبح اليهود هم الملاك الحقيقيون لهذه الأراضي. هذا على الجانب الاقتصادي والدور التخريبي الذي لعبه هربرت صموئيل.

وبعيدا عن الجانب الاقتصادي فقد لعب هذا الرجل دوراً هاما في إحداث توازن في عدد السكان بين عدد اليهود وعدد العرب في فلسطين وقد ساعده على ذلك ما حدث بعد 29 نوفمبر 1921 عندما بدأت إنجلترا في تنفيذ صك الانتداب

بعدما اعترفت المادة الثانية والعشرون من هذا الصك بمسؤولية الدول المنتدبة في وضع البلاد في أحوال سياسية وإدارية تضمن إنشاء وكالة يهودية تسدى المشورة والنصيحة إلى إدارة فلسطين وتتعاون معها في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وقد سارعت بريطانيا على الفور بإصدار دستور فلسطين، وكانت المادة الأولى هي أهم المواد والتي نصت على تعيين "مندوب سامي" يخول كافة السلطات اللازمة لتنفيذ جميع الواجبات المقترنة بوظيفته وتطبيق شروط الانتداب وتأسيس وطن قومي لليهود.

وقد عمل هذا الرجل على نقل عملية الهجرة من حالة الخفاء إلى حالة العلانية، فمنذ عام 1921 كان يدخل فلسطين شهرياً ألف يهودي عن طريق الرحلات التي تأتي من الناحية الشمالية وعن طريق السفن التي تلقي بالمهاجرين الجدد في الأماكن المنعزلة من الشواطئ وأصبح هذا التهريب يتم بشكل منظم، الأمر الذي دفع الفلسطينيين أن يقوموا بأنفسهم بحراسة الشواطئ. وحدث ذات يوم أمام قرية أم خالد قرب مستعمرة ناتانيا اليهودية أن اكتشفت كشافة أبى عبيدة في

طولكم محاولة لتهريب اليهود فهاجموا اليهود وحدث تشابك بين العرب واليهود وخشيت بريطانيا أن يسفر قيام الشباب العربي بحراسة الشواطئ عن كشف مخططها، لذا فقد أصدرت بيانا أوضحت فيه بأن الجيش الإنجليزي سوف يقوم بنفسه بحراسة الشواطئ الفلسطينية لمنع دخول اليهود، حيث اعتمد الأسلوب الإنجليزي على إبراز أن الإنجليز ليسوا أعداء العرب وأن العداء هو عداء عربي يهودي ليس للإنجليز دور فيه، في الوقت ذاته بدأت في بث روح الخلاف والعداء بين أبناء فلسطين وتأسيس أحزاب مؤيدة لسياساتها ومعارضة لها ثم بث الخلاف بين المسيحيين والمسلمين لضرب الوحدة الوطنية. واستمر هذا الوضع حتّى وصول هتلر إلى الحكم في ألمانيا وإعلان عدائه لليهود ورغبته في التخلص منهم، هنا فقط أحست بريطانيا بالخطر على مخططها الاستعماري وأعلنت عن وجهها القبيح فكافة اليهود الأوروبيين كانوا يرفضون فكرة الهجرة إلى فلسطين مفضلين الحياة في أوروبا وعندما زاد الضغط الألماني رفضت بريطانيا استقبال يهود أوروبا في جزرها بحجة أنها عاجزة عن استيعابهم ووضعت

خطة دعائية لإجبار اليهود على الهجرة إلى فلسطين فانطلقت أجهزة الاستخبارات التابعة لها في كل أنحاء العالم توزع تأشيرات الهجرة على بياض ووضعت أسطولها في خدمة هجرة اليهود حتّى وصل معدل الهجرة الشهري إلى فلسطين من اليهود "61854". وبذلك تمكنت بريطانيا من إحداث توازن في عدد السكان بين العرب واليهود وهذا التوازن لا يكفي، فكان لابد من إحداث تفوق نوعي لليهود على العرب، وذلك عن طريق تسليح اليهود. وجاءت أول فرصة لتسليح اليهود بطريقة علانية أثناء حدوث اضطرابات "1929" والتي عرفت باسم ثورة البراق بين اليهود والعرب وتفوق فيها العرب على اليهود وخشي على حياتهم من شدة العرب، وقتها قررت بريطانيا توزيع السلاح على بعض شباب اليهود وأعدوا منهم قوة مسلحة تحت اسم بوليس المستعمرات وجعلوه تابعاً لإدارة الأمن العام ورخصوا في الوقت ذاته بتأليف فرق عسكرية تابعة للوكالة اليهودية بحجة الدفاع عن اليهود في حالة الطوارئ وانتدبوا لذلك بعض القادة البريطانيين لتدريبهم وكانت تلك الفرق هي نواة الجيش

الإسرائيلي والتي أصبحت مع بداية الحرب العالمية الثانية فرقة مستقلة تحمل العلم الإسرائيلي وأصبحت أثناء الحرب لها علمها الخاص، وبذلك أصبح اليهود ملاك الأراضي داخل فلسطين وأصبح أيضا لهم بوليسي خاص وأصبح لهم جيش مستقل ولا ينقصهم سوى إعلان دولتهم.

وهذا الإعلان قد تأخر لقيام الحرب العالمية الثانية والذي تواكب مع بدء اختفاء نجم بريطانيا وبداية النجم الأمريكي في الصعود والتي كانت حريصة كل الحرص على حسن علاقاتها مع أمريكا والتي لم تكن قد دخلت الحرب بعد، وكانت بريطانيا ترغب في دخولها إلى جانبها. ووقتها قرر اليهود تغيير قبلتهم من بريطانيا إلى أمريكا وعرضوا أنفسهم على الأمريكان ليقوموا بنفس الدور الذي قاموا به لصالح إنجلترا، وذلك في مقابل الاعتراف لهم بوطن قومي في فلسطين. وقد بدأ عام "1940" باتصالات قام بها الأب الروحي لليهود حاييم وايزمان والذي كان يؤمن في اتصالاته بحقيقة غريبة ثبت أنها في محلها، كان لا يضيع وقته مع الخبراء وكبار الموظفين الرسميين، لأن هؤلاء على خبرة كاملة بمثل هذه

الموضوعات التي تدخل ضمن أعمالهم، وكثير منهم يعرفون الشرق الأوسط فكان من الصعب أن تجد الصهيونية ولكنه استطاع التأثير على عقلية كبار المسؤولين وعندما غيرت إسرائيل قبلتها ناحية أمريكا طبقت هذا المبدأ وكان أول لقاء بين وايزمان وروزفلت عام "1940"، وحاول وقتها جس نبض روزفلت وانتزاع اعتراف منه بإقامة دولة يهودية إلا أن روزفلت كان سياسياً واعياً لا يورط نفسه في تصريح يؤخذ ضده، كما كان يعرف أهمية بترول العرب في المستقبل، لذا فشل وايزمان أن يحصل على اعتراف منه، واكتفى روزفلت بقوله له: "أعتقد أن أي حل لمشكلة فلسطين يجب أن يكون حلاً عربياً يهودياً" وبعد وفاة روزفلت خلفه ترومان وكان أقل خبرة سياسية من روزفلت وهو الذي أعطى البيت الأبيض للصهيونية، وكانت زيارة الكاهن اليهودي وايزمان له هي بداية اندفاعه ناحية الصهيونية رغم تحذير وزير خارجيته له ادوارد ستيتبوس وإفهامه طبيعة السياسة السابقة للرئيس روزفلت وفشل وزير الخارجية في إقناعه. وفي صيف 1945 أصبح نفوذ الصهيونية على ترومان واضحاً وكان أول اختبار

لذلك عندما طلب من المستر كليمنت اتلى رئيس الوزراء البريطاني أن يقبل مائة ألف يهودي مهاجرين إلى فلسطين. وعام "1946" كان عام الانتخابات في الولايات المتحدة، وانتهز اليهود الفرصة وكانت البداية ولاية نيويورك حيث أعلن المرشح توماس ديوى مرشح الحزب الجمهوري للرئاسة بأنه سوف يصدر بياناً انتخابياً يؤيد فيه الصهيونية، وعلى الفور قام ليمان وميذ المرشحان عن الحزب الديموقراطي لمنصب محافظ المدينة ونائبها في الكونجرس إلى ترومان ليبلغاه النبأ ويلحا عليه في ضرورة إصدار بيان مماثل باسم الحزب الديموقراطي، وكانت النتيجة أن صدر بيان آخر من ترومان أعلن فيه تصميمه على ضرورة إدخال مائة يهودي إلى فلسطين وأصبحت الدولة والحزبان على السواء في تأييد منغمس في الصهيونية تماما، وكانت الحكومة الأمريكية في ذلك الوقت أداة الضغط على حكومة حزب العمال في بريطانيا، فعندما ألقى أرنست بيجن بيانا في يونيو سنة 1946، عارض فيه قبول مائة ألف يهودي في فلسطين رفع عضوا الكونجرس الأمريكي عن ولاية نيويورك

احتجاجا مباشراً إلى الوزير البريطاني ولكن الأخطر من ذلك أن الصهيونية اتجهت مباشرة إلى أعضاء الكونجرس المرتبطين بها، لتحركهم في اتجاه هام. ففي ذلك الوقت تحديدا كان الكونجرس يدرس مشروعا لمنح إنجلترا قرضا قدره ثلاثمائة وخمسة وسبعون مليون دولار، وقتها هددت الصهيونية بعرقلة هذا القرض في الكونجرس، الأمر الذي كان له أثر بالغ في إرغام بريطانيا على التراجع واتخاذ موقف ملائم وأصيبت إنجلترا بالشلل التام إزاء التأييد الأمريكي للصهيونية وأصبحت عديمة الدور في تحديد الأمور. وعندما ظهرت في الأفق فكرة التقسيم في الأمم المتحدة سارعت الصهيونية بالحصول على التأييد الأمريكي للتقسيم والذي وإن كان لا يحمل كامل الطموح الصهيوني إلا أنه كان يحقق لهم فكرة الاعتراف بحقهم في إقامة دولة سياسية. وفي يوم 29 نوفمبر 1947 أصدرت الأمم المتحدة قرارها بالتقسيم، وبقى فقط صدور قرار الاعتراف بالدولة وكان لابد من الحصول على اعتراف أمريكا أولا لتسهيل الباقي. وفي 14 مايو وبعد لقاء دام عشر دقائق بين وايزمان وترومان أعلنت

الولايات المتحدة اعترافها بالدولة اليهودية.

الفصل السادس

"الثورة العربية"

"الأمة التي لا تعرف معرفة يقينية الغاية التي تسير إليها ولا تنظم وسائل لبلوغ هذه الغاية. مقضي عليها بالفشل والخسران في ميدان هذه الحياة ومقدر لها أن تذهب دون أن تخلف وراءها أثراً في سجل التاريخ".

عندما قامت الحرب العالمية الأولى كانت المصالح البريطانية العثمانية متعارضة وكان هدف الطرفين هو الاستحواذ على المنطقة العربية وليس الجزيرة العربية فقط. وكانت بريطانيا في موقف أضعف من تركيا التي كانت تسيطر على الشام والعراق وتهدد المستعمرة البريطانية في الهند عن طريق البحر الأحمر وخليج فارس لكن كل هذه الأخطار لم تكن بنفس درجة خطورة وخوف بريطانيا من إعلان الخليفة العثماني إعلان الجهاد للشعوب الإسلامية والتي كانت تستعمرها بريطانيا وخاصة أن تركيا لم تكن وحدها بل كانت

ألمانيا حليفتها. وقتها اهتدى تفكير الساسة البريطانيين إلى ضرورة صناعة شخصية تصنع نوعاً من التوازن في حالة إقدام الخليفة العثماني على إعلان الجهاد ضد الإنجليز وذلك بهدف هزيمة تركيا من الداخل عن طريق رعاياها لإجبارها على الاحتفاظ بجيوشها داخل الدول التابعة لها. وكانت الشخصية التي وضعتها بريطانيا نصب عينيها للقيام بهذا الدور هي الشريف حسين، واختياره لم يكن من فراغ من نسب الرسول ويشرف على الأماكن المقدسة، فإذا نادى الخليفة بإعلان الجهاد فإن هذا الإعلان سيكون عديم الجدوى إذا لم يؤيده الشريف حسين. وكان المناخ السياسي مواتياً لتحريض الشريف حسين لإعلان ثورته لدرجة أن الشريف حسين لم يكن بحاجة لنصيحة إنجلترا للقيام بهذا الدور، فحدث في عام "1908" أن نجحت جمعية الاتحاد والترقي في تركيا في الوصول إلى الحكم ومع وصولهم للحكم ظهرت على السطح فكرة الطورانية وهي تعني إحياء أمجاد الأتراك وربط الأتراك المحدثين بتراثهم الحضاري القديم وتخليص التركي من كل رابطة تصله بالأدب الفارسي أو العربي وكانت

قناعتهم بأن الأمة التركية كانت وستظل الأمة الحاكمة في السلطنة العثمانية وأن الترك يتمتعون بحقوق وامتيازات سامية بصفتهم فاتحين للدول الأخرى. لذا فإن الدستور الذي يجب أن يسود هو الدستور التركي، ومن هنا ظهرت معهم فكرة تتريك المستعمرات العثمانية، الأمر الذي يعني استعمال اللغة التركية كلغة رسمية في كل المستعمرات واستعمال الدستور التركي. وبدأ تطبيق هذه المفاهيم على الشكاوي التي كانت تقدم فأصبح لزاما على الجميع كتابة الشكوى باللغة التركية. وكانت أخطر الخطوات التي أقدمت عليها جمعية الاتحاد والترقي هي ترجمة القرآن إلى اللغة التركية عام "1913"، وأصبح سلوك الأتراك يتصادم مع الطبيعة العربية فأثناء إجراءات الانتخابات البرلمانية في المستعمرات التابعة لتركيا ينص الدستور التركي في المادة "72" منه على أنه من الواجب على الناخبين أن ينتخبوا المبعوثين من أهالي دائرة الولاية التي هم منها إلا أن الاتحاديين عمدوا إلى ترشيح المبعوثين من الترك في مختلف الولايات العربية وفاز فيها الأتراك الممثلون للعرب بـ"15" مقعدا ليمثلوا الشعب

العربي.. وبذلك نجحت سياسة جمعية الاتحاد والترقي في ربط الولايات العثمانية التي تتمتع بقدر من الاستقلال مثل مكة والحجاز بعاصمة الدولة العثمانية. وقتها أحس الشريف حسين بالخطر خاصة عندما عين وهيب باشا والياً على الحجاز وتم تفويضه بالقيام بكل السلطات بموجب ذلك والاستعداد لمد خطوط السكة الحديد لربط الشام بالمدينة بمكة. أصبحت الحجاز كلها في سلطة وهيب باشا واختفى وتضاءل دور الشريف حسين.

حدث هذا في الوقت الذي كانت بشائر الحرب العالمية تلوح في الأفق وظهرت تيارات سياسية تنادي بضرورة الثورة على الدولة العثمانية والارتباط بدولة عظمى وظهر تيار آخر ينادي بتشكيل جبهة إسلامية للوقوف ضد الدول الأوروبية وانتصر الرأي الأول وساعده في ذلك وجود حالة من السخط والغضب لدى العرب بسبب ممارسات وزير الحربية العثماني جمال باشا والذي أعدم الكثيرين من القوميين العربي في سوريا وسببت تلك الممارسات حالة من البركان، وأصبح البحث عن زعيم يتولى قيادة الثورة وعن مصدر خارجي للمساعدة هدف

كل القوميين العرب، واختير للقيام بهذا الدور الشريف حسين نظراً لبعده عن مركز الثقل العثماني ونسبه للرسول "صلى الله عليه وسلم" ووجوده في مكان يسمح له بالقيام بالثورة ومع نشوب الحرب العالمية الأولى كان على العرب والشريف حسين اختيار حل من حلين إما الثورة على الأتراك والانحياز إلى جانب الحلفاء أو التزام الحياد وضياع لغتهم ودينهم. هذه الحيرة التي أصابت الوطن العربي كانت موضع رصد من قبل جهاز الاستخبارات البريطانية والذي كان يرصد هذه الحيرة خوفاً من وصول الألمان إلى المنطقة لعمل خط سكة حديد، وقام بتقريب وجهات النظر ضابط تركي اسمه الفاروقي كان يعمل لحساب المخابرات البريطانية، نقل رسالة إلى بريطانيا تؤكد على أن هناك مجموعة من الضباط يلتقون وسرا بالشريف حسين من أجل حثه على القيام بثورته ضد الخلافة العثمانية. وعلى الفور أرسلت بريطانيا برسالة إلى الشريف حسين عن طريق تاجر قطن يمني اسمه علي أصغر تستعلم فيها عن موقف الشريف حسين في حالة دخول تركيا الحرب ضد بريطانيا، ولم يرد الشريف حسين وظل متردداً في الرد

خوفا من أن يقال أن رجلا من أهل الرسول تحالف مع الكفرة ولكن حدث أمر هام عجل بإعلان ثورته، وهو تصميم تركيا على تطبيق نظام الولايات ود خطوط السكة الحديدية وتهميش دوره بوضع كل السلطات في يد وهيب باشا، ورفض الاتحاد والترقي العدول عن فكرتهم هذه. كل ذلك زاد من حماسه لإعلان ثورته وكانت الحاجة لدعم خارجي ومساعدة هي شاغله إلا أن أعين أجهزة الاستخبارات البريطانية كانت في انتظاره، فأرسلت إليه العديد من الشخصيات العربية تحرضه على القيام بثورته وأرسلت إليه شخصيات ذات شعبية وجماهيرية مثل فوزي البكري ويوسف حيدر من سوريا، وأعلن الأمير سعود ومبارك الصباح والإداريون تأييده في حالة قيامه بثورة، وعلق الشريف حسين إعلانه الثورة مقابل قبول بريطانيا شروطه والتي وضعت في اتفاقية دمشق وكان أهم مطلب فيها هو استقلال الدول العربية ومنحه لقب الخليفة وقد وافقت بريطانيا على شروط الشريف حسين، وبموجب توقيع الاتفاقية أعلن الشريف حسين ثورته وثارت الشعوب ضد الخلافة العثمانية وبذلك تحقق الهدف البريطاني في إبقاء

العديد من القوات التركية في أماكنها لقمع ثورات شعوبها، واستغلالا للموقف أرسلت بريطانيا إلى مبارك الصباح حاكم الكويت الكولونيل دلامين في 3 نوفمبر 1914 رسالة قال فيها: "قد أمرتني الحكومة البريطانية أن أبلغ سعادتكم الشكر لولائكم وعرضكم المساعدة وأطلب الآن أن تهاجموا أم القصير وصفوان ويوبيان خان وأن تحتلوها وعليكم التعاون مع الشيخ خزعل خان والأمير عبد العزيز وغيرهما من المشايخ لتحرروا البصرة". وبمجرد وصول الرسالة قام مبارك الصباح بتجهيز الكويت كقاعدة لتموين القوات وساعد الجنرال أرثر باريت في الزحف على البصرة وكان دور عبد العزيز آل سعود هو منع الإمدادات من الوصول إلى الأتراك عبر الخليج والعمل على تحييد آل الرشيد الموالين في الجزيرة العربية. وباستخدام شعار القومية العربية ضد الخلافة الإسلامية تمكنت بريطانيا من تحجيم الأتراك وقواتهم وإجبارهم على البقاء في أماكنهم لقمع ومواجهة ثورات الشعوب ضدهم، الأمر الذي انتهى بانتصار بريطانيا في الحرب وهزيمة تركيا وانهيار الخلافة العثمانية، وبذلك يكون

الشريف حسين قد أدى الدور المرسوم على أكمل وجه وثار العرب على الخلافة العثمانية وتحقق لانجلترا ما تريد، وعندما وضعت الحرب أوزارها استعد الشريف حسين للحساب والحصول على مقابل خدماته بتنفيذ انجلترا وعدها في اتفاقية دمشق.

وقتها لم يكن يعلم أن هناك اتفاقية وقعت في الخفاء بين دول الحلفاء لتوزيع المغانم والتركة العثمانية وأن هناك خلافا بين فرسنا وانجلترا على الاستحواذ على النصيب الأكبر من التركة بالإضافة إلى أن هناك اتفاقا بين انجلترا واليهود على إقامة دولة لهم في المنطقة العربية ليقوموا بدور الحارس لقناة السويس لحماية البوابة السرية للمستعمرات البريطانية في أفريقيا، تلك الاتفاقية التي كانت أول خطواتها عام 1914 عندما كتب حاييم وايزمان إلى صديقه رئيس تحرير المانشستر جارديان شارحا الخط الصهيوني وقال بالحرف الواحد "من الممكن الآن أن نقول أنه إذا وقعت فلسطين في دائرة النفوذ البريطاني وإذا شجعت انجلترا بعد ذلك توطن اليهود كمستعمرة بريطانية، فإننا نستطيع أن نوجد خلال

الثلاثين سنة القادمة حوالي مليون يهودي في تلك البلاد فيطورونها وينقلون الحضارة إليها ويكونون بمثابة حرس فعال لقناة السويس".

وبناء على تلك الرسالة حددت أهداف الاتفاقيات السرية التي وقعت بين الإنجليز والفرنسيين من ناحية وبين الإنجليز واليهود حيث استهدفت الخطة:

1 ـ أن ينتصر الحلفاء وعلى رأسهم انجلترا.

2 ـ أن تكون فلسطين من نصيب انجلترا.

3 ـ أن تسهل انجلترا استيطان اليهود في فلسطين.

4 ـ أن ينتهي الأمر بسيطرة اليهود على فلسطين في مقابل استمرارهم في خدمة انجلترا بحراسة قناة السويس لحسابهم. وظلت تلك الاتفاقيات خفية على العرب حتّى قيام الثورة البلشفية في روسيا عام 1917 ونشر الثوار لكافة بنود الاتفاقيات السرية التي وقعها القيصر في جريدة برافدا في عددها الصادر في 23 نوفمبر 1917. ومنذ هذا التاريخ دخلت العلاقات البريطانية والشريف حسين منحنى جديداً بعد أن أنكرت بريطانيا وعدها للشريف حسين بتنفيذ اتفاقية دمشق،

بل استهانت به وطلبوا منه أن يعترف بحقيقة وضعهم في مصر والعراق وفلسطين، وطلبوا منه أيضاً عقد معاهدة جديدة على هذا الأساس مقابل ترك حكم الحجاز له. ولم يكن في استطاعته الموافقة أمام الضغوط التي كان يتعرض لها من الشعوب التي استجابت لثورته ورفض الدخول في أية معاهدات جديدة مع بريطانيا وأصبح يطاردهم في كل مكان. الأمر الذي أصبح معه وجوده في الحكم ومكانته التي يتمتع بها وسط الشعوب الإسلامية مصدر إزعاج لبريطانيا، فكان لابد من التخلص منه لأنه أصبح لا يخدم مصالحها، ولم تكن تستطيع التخلص منه بنفسها لأن له مكانة مميزة وسط المسلمين وأيضاً لأن بريطانيا كانت تمر بظروف صعبة في مستعمراتها، فكان الحل هو بث الخلافات بين الدول العربية وتهديد عرش الشريف حسين لإجباره على قبول فكرة الوطن القومي لليهود.

الفصل السابع

الدور الخفي لآل سعود

"إن اختلاف الظروف الموضوعية المادية وتباين مستويات الوعي والعقائد من مكان لآخر في العالم يدفع الاستعمار من أجل المحافظة على مصالحه الاستعمارية الاستغلالية التي تشمل جميع أنحاء العالم وتشمل المجالات المختلفة والمستويات المتعددة من حياة الأمم أن يأخذ في كل ظرف زمني أو مكاني الصيغة العقائدية اللازمة كوسيلة يقتضيها مخطط المحافظة على مصالحه الاستغلالية في هذا الظرف".

وكان الحل هو البحث عن أداة لتنفيذ هذا المخطط. هذه الأداة كانت عبد العزيز آل سعود رجل كل المناسبات والذي يقبل القيام بأي دور في مقابل استعادة عرش أجداده، واختياره لم يأت من فراغ فهناك علاقة بين بريطانيا وتلك الأسرة والتي علا نجمها وبدأت في الظهور كقوة منذ عام 1745، وهو العالم الذي سببت آراء الشيخ محمد بن عبد

الوهاب إزعاجا للعلماء والمشايخ في منطقة العينية بالجزيرة العربية لمهاجمته البدع والخرافات التي أصبحت في حكم العبادات بل إنه أمر بهدم الأضرحة والقبور التي أصبحت بالنسبة للكثيرين في حكم العبادات وهاجم العلماء. الأمر الذي اعتبره العلماء والمشايخ بداية لفقدان مكانتهم الاجتماعية، وخوفاً على وضعهم طالبوا عثمان بن معمر حاكم العينية بطرده لانتشار آرائه وحركته لدرجة تهديد حاكم الإحساء بوقف المعونة المالية عن حاكم العينية، وأمام هذا الضغط اضطر عثمان بنمعمر إلى طرد محمد بن عبد الوهاب والذي لم يجد مكاناً يلجأ إليه سوى الدرعية مسقط رأس آل سعود، وعندما وصل إلى الدرعية زاره محمد بن سعود واشترط عليه عدم مغادرة الدرعية وعدم معارضته في فرض ضرائب مقابل السماح له بالإقامة. وقد وافق ابن عبد الوهاب على الأولى ولم يعط إجابة في الثانية. ومنذ ذلك التاريخ وجد كل من الطرفين ضالته المنشودة، فالشيخ أصبح له مكان مستقر يساعده في نشر دعوته وآل سعود وجدوا فيه المبرر لتنفيذ أحلامهم السياسية، فالعلاقة بين الحركات السياسية والدينية

علاقة تبادلية. فالحركة الدينية تسعى دائما لطلب الحماية في مقابل تقديم المبرر الشرعي في تنفيذ سياساتها. من هذه العلاقة بدأ نجم آل سعود يعلو وبدأ نفوذهم السياسي يمتذ إلى القبائل المجاورة بعد أن اعتنق الكثيرون آراء الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأصبح أعداء الوهابية أعداء الإسلام، وبذلك نجحت الحركة وتحولت إلى أيديولوجية دولة حيث أتاحت لعبد الوهاب الدعم والحماية وقدمت لابن سعود الأيديولوجية والأتباع لتنفيذ أهدافه. ومن هنا بدأ آل سعود في تأسيس أول دولة لهم في عام 1795 عندما تمكنوا من القضاء على دولة بني خالد في منطقة الإحساء. وفي هذا الوقت كانت علاقة بريطانيا بآل سعود علاقة لا تأخذ أي شكل رسمي سواء من ناحية العداء أو السلم فالإنجليز كانوا يتجنبون الصدام مع الوهابيين طالما كان بريدهم الصحراوي يسير في أمان، ولكن هذه العلاقة تدهورت عندما قرر الوهابيون مهاجمة الكويت والتي كانت بريطانيا قد نقلت إليها مقر بريد شركة الهند الشرقية ولكن قبل وصول الوهابيين كان "نايستي" رئيس الوكالة في شركة الهند قد تمكن من إنزال طرادين بريطانيين

إلى بر الكويت لرد هذا الهجوم. وأحدث هذا الهجوم خسائر كبيرة للوهابيين وعزموا على مواصلة الهجوم على البريد الإنجليزي وارتفعت حدة العداء وأحس الإنجليز بالخطر عندما اعتنقت قبيلة القواسم التي كانت تحترف أعمال القرصنة في المنطقة العربية العقيدة الوهابية وأصبحت أعمال السلب والقرصنة نوعا من الجهاد بعد أن قرر زعيم القواسم تأدية خُمس الغنيمة إلى الحاكم الوهابي "آل سعود"، ومع مرور الأيام أصبحت مهاجمة القواسم للسفن في منطقة الخليج لا تهدد انجلترا فحسب بل أصبحت تهدد أيضاً الخليفة العثماني والذي كان خادما للحرمين ومثل هذه الأمور تقلل من مكانته وسط المسلمين.

الأمر الذي دفع الخليفة العثماني إلى تكليف الوالي "محمد علي" حاكم مصر للقيام بحملة تأديبية للقضاء على الوهابية وعندما بدأت قوات محمد علي في التحرك ناحية الجزيرة هرع الأمير سعود بن عبد العزيز إلى المفوض البريطاني في منطقة بوشهر ليخبره أنه منع أتباعه من مهاجمة سفن بريطانيا، ولكن بريطانيا رفضت أن تبرم معه أية معاهدات بعد

أن لاحظت أن قوات محمد علي في طريقها إلى سحق الوهابيين وقبل وصول قوات محمد علي إلى معقل آل سعود كان سعود بن عبد العزيز قد توفى وخلفه ابنه عبد الله. وفي عام 1814 وصلت قوات محمد علي إلى الدرعية حيث استسلم عبد الله بن سعود إلى قوات إبراهيم باشا حيث تم اقتياده إلى مقر الخلافة العثمانية وأعدم بعد أن شهر به لمدة ثلاثة أيام وبإعدامه انهارت أول دولة لأسرة آل سعود وظهرت الدولة الثانية لآل سعود عقب اتساع نفوذ أسرة محمد علي بعد أن تمكن إبراهيم باشا من توحيد الإمارات العربية بشكل لا يتفق مع مصالح بريطانيا في منطقة الخليج وزاد من خوف بريطانيا على مصالحها رفض المصريين التعامل أو الدخول في اتفاقيات ثنائية مع بريطانيا.

حدث هذا في وقت بدأت بشائر تمرد محمد علي على الخلافة العثمانية تظهر، الأمر الذي دفع بريطانيا إلى تحريك الأسطول البريطاني في مواجهة خورشيد باشا القائد المصري لمنعه من الاستمرار في التقدم وتوحيد الإمارات العربية لدرجة أن بريطانيا توسطت للخليفة العثماني للإفراج عن

"تركي" ابن عبد الله بن سعود من السجن المصري في الوقت الذي كانت القوات المصرية قد دمرت الدرعية وتركت إقليم نجد بلا حاكم. الأمر الذي أحدث نوعاً من الفوضى حتّى ظهر رجل يدعى محمد بن معمر استغل هذه الفوضى وأجبر غبوش أغا الحاكم العثماني على تولية منصب "إمارة نجد" وهذا الحكم لم يدم طويلا عقب الإفراج عن تركي بن عبد الله والذي عاد ليؤسس الدولة السعودية الثانية، حيث بدأ في إعداد وتنظيم الفلول الهاربة من الوهابيين حيث تمكن من قتل محمد بن معمر والاستيلاء على الحكم لتقام بذلك الدولة السعودية الثانية. ولكن هذه الدولة لم تدم كثيرا بعدما قرر فيصل ابن تركي الوقوف أمام محاولات خورشيد باشا توسيع النفوذ المصري على منطقة الجزيرة العربية بإيعاز من بريطانيا، والتي قررت دعمه لمنع توسيع النفوذ المصري والذي كان يرى أن ظهور إمارة جديدة لآل سعود سوف يحول دون توسيع النفوذ المصري. وفشلت محاولات خورشيد باشا في إقناع فيصل بن تركي بالوقوف معه ضد الإنجليز ولكن تجربة السجن علمته هو وأسرته أن الالتصاق بدولة قوية هو

السبيل الوحيد للاستمرار في الإمارة والحكم ورفض التحالف مع محمد علي.

ويعد فيصل أول حاكم في أسرة آل سعود يستطيع إبرام اتفاق مع بريطانيا لمنع أعمال السلب والنهب كما أنه أول حاكم يستطيع التعهد لبريطانيا بالتوسط بينها وبين الأمراء العرب لإقامة علاقات ودية. لذا فقد أحدث الدعم البريطاني إلى فيصل زيادة العداء بين خورشيد باشا وفيصل، الأمر الذي أدى إلى صدام بينهما انتهى هذا الصدام بموت فيصل وحدوث خلافات حول تولي الإمارة بين ابنيه سعود وعبد الله، والذي انتهى بانهيار الدولة الثانية عام "1885" ورحيل الأسرة كلها إلى الكويت لتقيم في ضيافة مبارك الصباح.. ومن هناك تبدأ صفحة جديدة من صفحات أسرة آل سعود وهي المرحلة الخاصة بتأسيس الدولة الثالثة وهي الموجودة حتّى الآن.

عقب انهيار الدولة السعودية الثانية لجأت الأسرة بأكملها إلى الكويت في ضيافة حاكمها مبارك الصباح وأصبح حكم نجد كله في يد آل الرشيد. وكانت لمبارك الصباح طموحات في أن يكون له دور في مجريات الأمور والأحداث وأراد أن يوسع

نفوذه في منطقة الجزيرة العربية، وكان يرى أن الارتباط ببريطانيا أفضل له من تركيا. لذا فقد قام بمحاولة لمساعدة آل سعود في استعادة حكمهم في نجد، وذلك بإعداد جيش قسم إلى جناحين الأول يقوده مبارك الصباح والثاني يقوده أحد قواده على أن يتولى مبارك الصباح إلهاء ومناوشات آل الرشيد في مقابل قيام قائده الحسيني باحتلال الرياض وتسليمها إلى آل سعود. وفي عام "1901" تحركت القوات للقضاء على عبد العزيز الرشيد حاكم نجد، وقد فشلت محاولة الهجوم وفرت قوات مبارك الصباح وآل سعود من أمام قوات آل الرشيد وأصبح عرش مبارك الصباح مهددا لولا تدخل بريطانيا في الوقت المناسب وإقامتها حائطا دفاعياً حول حدود الكويت الأمر الذي دفع آل الرشيد إلى التراجع أمام الدفاع البريطاني وسميت هذه المعركة معركة الصريف والتي أضافت إلى آل سعود خبرة ودليلاً على ضرورة الارتباط بدولة عظمى لضمان بقائهم، وقربت ولفتت نظر البريطانيين إلى إمكانية استخدام هذه القبائل للحد من النفوذ التركي والذي بدأ بتولي جمعية الاتحاد والترقي الحكم في تركيا وإعادة

اهتمامها بالمناطق التي كانت تابعة لها من الناحية الاسمية. وزاد من أهمية أسرة آل سعود والصباح هو التقارب الشديد بين ألمانيا وتركيا وقيام الألمان بالإعداد لمشروع السكة الحديد لربط الحجاز بالإضافة إلى التقارب بين ألمانيا وروسيا وتسوية الخلافات بينهم، هذا المناخ النفعي دفع بريطانيا دفعا لإعادة أسرة آل سعود إلى حكم الرياض في عام

"1902" بقيادة عبد الرحمن آل سعود والد عبد العزيز آل سعود.

وكل هذا الدعم البريطاني كان يتم بشكل غير مباشر وعبر مبارك الصباح واستمرت تلك العلاقة تأخذ شكلاً غير مباشر حتّى افتتاح خط سكة حديد الحجاز عام "1908"، وبافتتاح خط السكة الحديد بدأت المخاوف البريطانية تزداد من نمو الوجود الألماني العثماني في منطقة الخليج العربية حتّى جاء عام "1911" وهو تاريخ الحرب التركية ضد الطليان في طرابلس وحروبها في منطقة البلقان. واستغلت بريطانيا هذه الحرب وشجعت آل سعود ودعمتهم للقيام بالإغارة على منطقة الإحساء لاحتلالها في مايو "1913" وفرحا بالنصر

أرسل ابن سعود في 13 يونية 1913 رسالة إلى بريطانيا جاء فيها: "بالنظر إلى مشاعري الودية تجاهكم أود أن تكون علاقاتي معكم كالعلاقات التي كانت بينكم وبين أسلافي".

وعقب هذه الرسالة كتب "برسي كوكس" ضابط المخابرات الإنجليزية تقريرا إلى رئاسته جاء فيه: " إن تجاهل محاولات الأمير عبد العزيز المتكررة سوف تحول نظرته إلى نظرة عدائية تجاه إنجلترا"، وأمام اتساع النفوذ التركي في منطقة الجزيرة العربية والتقارب الألماني التركي وخط السكة الحديد الجديد وتقارير المخابرات البريطانية، كل هذه العوامل مجتمعة دفعت بريطانيا في مارس 1914 إلى توقيع اتفاق بينها وبين الأمير عبد العزيز آل سعود جاء فيه:

1 ـ تقوم بريطانيا بالمحافظة على الخليج ومنع التعدي على الأمير عبد العزيز آل سعود.

2 ـ يعاد النظر في فرص أخرى في مسألة إدخال الأسلحة.

3 ـ يحافظ الأمير عبد العزيز على الرعايا الإنجليز وتجارتهم في الخليج.

وبموجب هذا الاتفاق سلمت بريطانيا بالأمر الواقع وأعلنت

أن عبد العزيز آل سعود هو والي نجد وتم منحه لقب باشا وصدر فرمان أن تبقى نجد بالوراثة بين أبناء عبد العزيز وهكذا أصبح لأسرة آل سعود معاهدة واتفاق ومعاهدة حماية بريطانية.

وتاريخ توقيع هذه المعاهدة هو بداية العلاقة المباشرة بين بريطانيا وأسرة آل سعود والتي كانت دائما ومنذ ذلك التاريخ تزداد قوة كلما ساءت العلاقة بين الشريف حسين وبريطانيا.

الفصل الثامن

فلسطين مقابل عرش الحجاز

"إذا قويت العصبية في البدو واشتد ساعدها وظفرت بالرئاسة ثم زاد جاهها وسلطانها ومالها فإنها تطمع بما فوق الرئاسة وتطمح إلى الملك للاستئثار بالحكم والتمتع بما لديها من الجاه والسلطان والمال".

"ابن خلدون"

** بداية دور آل سعود في تنفيذ وعد بلفور:

عندما بدأت الحرب العالمية الأولى تلوح بشائرها في الأفق

كانت المصالح العثمانية البريطانية متباينة، وكانت أهمية المنطقة العربية بالنسبة لبريطانيا تفوق أهميتها بالنسبة لتركيا لأن الوطن العربي ومعابره كان البوابة إلى مستعمرات بريطانيا سواء في الهند أو في أفريقيا.

ورغم هذه الأهمية فإن تركيا كانت تسيطر على هذا الوطن فالشام والعراق والخلافة العثمانية بكل مستعمراتها تحت إشراف تركيا.

هذا بالإضافة إلى خوف بريطانيا من إعلان الخليفة العثماني الجهاد في بريطانيا المسيحية، وقتها اهتدى فكر الساسة البريطانيين أن الحل يكمن في ضرورة هزيمة تركيا من الداخل عن طريق إشعال الثورات والفتن داخل منطقة الوطن العربي لإجبار تركيا على إبقاء جيوشها في أماكنها لقمع هذه الثورات.

وقد دار الخلاف بين أجهزة الاستخبارات البريطانية على الشخص الذي يمكن أن يسند إليه دور الزعيم في هذه المنطقة.

على أن يكون دوره مثل دور بابا الفاتيكان يستمد مكانته

من حكمه للأماكن المقدسة وقد حسمت التقارير البريطانية الخلاف حول شخصين يمكن أن يقوم أحدهما بهذا الدور. الشخص الأول هو الشريف حسين والثاني كان عبد العزيز آل سعود. والفريق الأول كان يقوده هوجارث لورانس والفريق الثاني كان يقوده جون سانت فيلبي وكوكس. وانتصر رأى الفريق الأول وتم الاستقرار على إسناد دور بابا الإسلام للشريف حسين، وتدخلت عدة اعتبارات لنصرته كان أولها أنه من نسب الرسول وزعامته للعالم الإسلامي كبابا سوف تكون مقبولة، والاعتبار الثاني كان أن الشريف حسين بقرابته للرسول يستطيع إن رفض إعلان الجهاد الذي يعلنه الخليفة العثماني أن يوحد منه العرب والمسلمين كلهم تحت رايته.

وعندما قامت الحرب العالمية الأولى وأعلن الشريف حسين ثورته بالاتفاق مع بريطانيا في مقابل حصول العرب على استقلالهم وحققت بريطانيا أهدافها من الثورة العربية، وعندما انتهت الحرب العالمية وجاء وقت الحساب بين الشريف حسين وبريطانيا دب الخلاف بينهما، خاصة بعد نشر

كافة تفاصيل معاهدة سايكس بيكو وتوزيع الغنائم. وقد ساءت تلك العلاقات بعد رفض بريطانيا تنفيذ وعودها له بل إنها طلبت منه قبول وضعها في العراق ومصر وإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين في مقابل الاحتفاظ له بالحجاز.

وفي يناير 1919 عقد مؤتمر الصلح بين الدول المتحاربة في فرساي وحضره الأمير فيصل نيابة عن أبيه الشريف حسين، ومنذ وصوله إلى فرساي بباريس بدأت إنجلترا تحشد الدول لإيقاع فلسطين ضمن ممتلكاته ومارست الضغوط على فيصل ابن حسين لقبوله فكرة وطن قومي لليهود مقابل الاحتفاظ بالحجاز لهم، وشنت عليه بريطانيا حرب أعصاب وأصبح في موقف لا يحسد عليه وخاصة أن مطالب أبيه كانت في المطالبة بتنفيذ معاهدة دمشق الخاصة باستقلال العرب. ولكن بريطانيا كانت قد شرعت بالفعل في تنفيذ وعد بلفور فكان الحل لإجبار الشريف حسين على قبول سياسة الأمر الواقع هو تهديده في عرشه رغم حاجة بريطانيا إليه باعتباره أفضل من يقوم بدور بابا الإسلام، فكان تهديده بواسطة شخصية عربية هو الحل وخاصة أن بريطانيا كانت مشغولة

بثورات المستعمرات ضدها مثل ثورة "19" في مصر بالإضافة إلى أن الشريف حسين قريب الرسول والتعرض إليه يثير الشعوب الإسلامية كلها، فكان لابد أن يكون الصراع عربياً خالصاً. وقتها بدأت إنجلترا البحث في أوراق وتقارير مخابراتها عن الشخص الذي يصلح لتنفيذ هذا الدور وكان عبد العزيز آل سعود هو الأداة التي استخدمتها بريطانيا لتنفيذ هذا المخطط كمرحلة أولى لمحاولة إثناء الشريف عن موقفه.

وقد أرسلت إليه بريطانيا لورانس حاملا معه نص المعاهدة الجديدة بينه وبين بريطانيا والخاصة بقبول فكرة إنشاء وطن قومي لليهود، إلا أن الشريف قام بإصدار بيان وزعه على الشعوب جاء فيه " عرضت على الحكومة البريطانية معاهدة عدلتها بحيث ينص فيها على استقلال فلسطين وجعلت وعد بلفور في حكم أنه لم يصدر وإذا لم تقبل الحكومة البريطانية هذه التعديلات فلا يمكن أن أقبل المعاهدة".

وبهذا التصريح وطرده للمبعوث البريطاني بدأت إنجلترا تنفيذ أولى مراحل الضغوط على الشريف حسين لقبول شروطها بواسطة عبد العزيز آل سعود والذي أكد تقرير

المخابرات البريطانية في منطقة الجزيرة العربية والذي أعده السير "أرنولد ولسون" وقال فيه: إن تخلى الحسين عن العرش يساعد على تهدئة الموقف ويسهل تسوية قضايانا في فلسطين وسوريا والعراق حسب الخطوط التي يقبل بها الحلفاء. وقد واكب تنفيذ المخطط خطة إعلامية تقوم على تشويه صورة نموذج الرجل قريب الرسول وإظهاره بمظهر الخائن للأمة الإسلامية وتجميل صورة عبد العزيز آل سعود باعتباره مخلص هذه الأمة من أشرارها، وقد ساهم في نجاح الحملة الإعلامية سيطرة الإنجليز على وسائل الإعلام وعدم توافر مثل هذه الوسائل في عالمنا العربي.

هذا عن الحملة الإعلامية أما عن الحملة الحربية فكانت تقوم على ثلاث مراحل المرحلة الأولى هي القضاء على القوة العسكرية للشريف حسين لإجباره على قبول فكرة الوطن القومي لليهود، فإذا فشلت الحملة في إجباره على قبول شروط بريطانيا كانت الخطة الثانية هي التمهيد لاحتلال الحجاز وإظهار أن هذه المرحلة هي بداية مرحلة خلاص الأمة الإسلامية من الاستعمار الأوروبي وقد تواكب مع هذه

الخطة خطة أخرى في فلسطين قامت بريطانيا بتنفيذها.

وتحت جنح الظلام تحركت جيوش الوهابيين بقيادة خالد بن لؤي القائد الوهابي متجهة إلى معسكر قوات الشريف حسين والذي كان يشرف على هذا المعسكر الأمير "عبد الله" أبو الخيانات في عالمنا العربي والذي غادر المعسكر عند وصول خالد بن لؤي باتفاق مسبق مع بريطانيا مقابل توليه إمارة شرق الأردن.

وبينما كانت جيوش الشريف حسين تغط في النوم قام الوهابيون بقطع رؤوس جيش الشريف حسين بمعدات بريطانية وخطة صهيونية وضعها جون سانت فيلبي ليفقد الشريف حسين عشرة آلاف من جنوده وجيشه الذي كانت تخشاه بريطانيا.

وبذلك نفذ عبد العزيز أول خطط بريطانيا لإجبار الشريف حسين على قبول معاهداتها، وكانت بريطانيا ترى أن القيام بعملية محدودة ضد الشريف حسين سوف يجعله يرضخ، هذه التوصية عملت بها بريطانيا بناء على رسالة هربت صموئيل أول مندوب سامي بريطاني إلى الدوق ديفونشي والذي جاء

فيه من المحتمل أن التهديد المتزايد على الحجاز من قبل الوهابيين يجعل الشريف حسين أكثر تساهلا واستعدادا لقبول الشروط التي تتلاءم ومقتضيات سياستنا في فلسطين ثم نصحه بإطالة أمد المباحثات بين بريطانيا والشريف حسين. وقد أمرت بريطانيا ابن سعود بالتوقف عن مواصلة هجومه ناحية الحجاز لإتاحة الفرصة أمام الشريف حسين لمراجعة نفسه. وقد تواكب هذا مع بداية تنفيذ بريطانيا لمخطط داخل فلسطين بتنظيم هجرة اليهود وإعادة توزيع الأراضي عليهم واتخاذ القرارات الاقتصادية الخاصة بتكريس الأوضاع لصالحهم.

وبينما كانت قوات آل سعود تحصد رؤوس جيش الشريف حسين كانت بريطانيا وحلفاؤها يطبقون اتفاقية سايكس بيكو وإقامة الوطن القومي لليهود معتمدين على عدم وجود قوات عربية تواجههم، وقامت فرنسا بإدخال سوريا كلها تحت إشرافها واحتلالها بالكامل، بينما قامت بريطانيا باحتلال العراق والتمهيد لتطبيق الانتداب الكامل على فلسطين ووصلت البعثات الصهيونية إلى فلسطين لدراسة الخطط

المستقبلية. وقامت الثورات العربية في مصر ثورة "1919" والعراق وثارت الشعوب العربية كلها وتكبدت الحكومة البريطانية خسائر فادحة، ولكن كل ذلك يهون في سبيل تنفيذ مخطط زرع الجرثومة اليهودية وكانت الجيوش الوحيدة المجهزة والمؤهلة للحرب هي جيوش الشريف حسين، لذا فإن القضاء عليها كان خير وسيلة لتحقيق لأحلامها، ولذلك فقد وصل في أغسطس عام 1920 وزير المستعمرات البريطاني الجديد والذي خلف السير ويلسون في تولي الوزارة، وهذا الوزير كان بيرسي كوكس الذي سبق أن وقع أول معاهدة بين بريطانيا وآل سعود وكان هذا الرجل يراهن على أن ابن سعود هو الشخصية التي تستطيع أن تنفذ كل أحلام بريطانيا في المنطقة إذا أصبح بابا الإسلام. وعندما تولي هذا الرجل المنصب سافر إلى ميناء العقير وعقد اجتماعاً معه في 20 اغسطس "1920" وتمخض هذا الاجتماع على أن يخلف ابن سعود الشريف حسين في المنطقة في مقابل مساعدة بريطانيا في تنفيذ أحلامها على أن تقوم بريطانيا بتخليصه من كل أعدائه ليتفرغ للقضاء على

الهاشميين، لأن بريطانيا كانت تعمل دائما على عدم الاصطدام مع عقيدة المسلمين والشريف حسين وأسرته يمثلون آل بيت الرسول.

ولم تمض شهور حتّى كان ابن سعود قد تم تزويده بالأسلحة المتقدمة بلغة العصر ورجال من عمليات وزارة الدفاع البريطانية لرسم الخطط الحربية حتّى تمكن من احتلال حائل وعسير معقل آل الرشيد والذين انهارت على أيديهم الدولة السعودية الثانية، وباحتلال حائل وعسير تمكنت بريطانيا من الحصول على قاعدتين استراتيجيتين هما قاعدة قمران وفرسان واللتين كانتا محل طمع من قبل أمير اليمن دون أن تظهر أنها متواطئة مع آل سعود ضد الشريف حسين مع تقدم ابن سعود خطوة ناحية منصب بابوية الإسلام، في مقابل ذلك أصبح الشريف حسين في وضع لا يحسد عليه، إذ أصبح وحيدا ومحصوراً في إقليم ضيق بعد تطويقه من الجنوب والشمال والشرق، الأمر الذي يسهل على بريطانيا إجباره على الدخول معها في معاهدة جديدة وقبول فكرة الوطن القومي لليهود مقابل احتفاظه بعرش الحجاز،

فبريطانيا كانت ترى أن الشريف حسين إن قبل فكرة الوطن القومي لليهود لن تثور الشعوب الإسلامية لمكانته.

لذا فقد عادت وأرسلت رجل المخابرات لورانس مرة أخرى ومعه نص المعاهدة الجديدة مع تقديم شروط أقل حدة من سابقاتها، وكلما تقدمت المفاوضات بين الطرفين كان الوضع في فلسطين هو المانع من الاتفاق. وقد تصادف في هذه الحقبة التاريخية الهامة أن عقد مؤتمر الصلح في لوزان يوم 27 أكتوبر 1922 وحضرته إيطاليا وبريطانيا وفرنسا وتركيا، وقد رفضت تركيا قبول شروط المعاهدة عند عرضها في أول جلسة، ثم أعيد فتح المؤتمر يوم 23 أبريل 1923 مع حضور وفد من اللجنة التنفيذية للمؤتمر الفلسطيني والذي بذل محاولات مستميتة في حمل تركيا على الإصرار على ما جاء في ميثاقهم بشأن البلاد العربية، من حقها في تقرير مصيرها، إلا أن المؤتمر انتهى وقد أضفى الشرعية على نظام الانتدابات وقد أرسلت وقتها اللجنة الصهيونية وفداً سافر لمقابلة الشريف حسين وقد حمل معه اقتراحات بحل مشكلة فلسطين على النحو التالي:

1 ـ إنشاء حكومة عربية في فلسطين يرأسها الأمير عبد الله.

2 ـ تكون اللغة العربية والعبرية لغة هذه الحكومة.

3 ـ يخضع اليهود لهذه الحكومة ويساعدون على إنشائها.

4 ـ تحدد الهجرة الصهيونية إلى فلسطين بنسبة الحاجة.

5 ـ يساوي بين العرب واليهود في الوظائف.

وقد رفض الملك هذه الشروط باعتبارها تكريساً وتنفيذاً لوعد بلفور.

واستغل الشريف حسين فرصة الحج وألقى خطبة جاء فيها: "أوكد لكم أنه إذا لم تفعل حكومة بريطانيا التعديلات التي طلبتها فلا يمكن أن أوقع على المعاهدة بل أرفضها رفضا باتا، وكونوا على ثقة أنه لا يمكن أن يذهب شبر من أراضي فلسطين فإنّا نحافظ على فلسطين محافظتنا على بيت الله الحرام ونريق في سبيل ذلك آخر نقطة من دمائنا".

وبهذه الخطبة وطرد لورانس مبعوث الحكومة البريطانية ورفضه الموافقة على قبول وضع اليهود في فلسطين وضع الشريف حسين آخر مسمار في نعشه.

وبدأت بريطانيا تجهيز عبد العزيز آل سعود في إنهاء العرش الهاشمي، وقامت مخابراتها بوضع خطة لا تختلف مطلقا عن خطط دير ياسين وبئر سبع، خطة تقوم على ترويع القرى عن طريق أعمال القتل والذبح في قرية مجاورة لأنها لا تستطيع القتال في مكة لمكانتها لدى المسلمين بحيث يتناقل الناس والقرى خبر البشاعة والذبح والنهب، كل هذا سوف يخيف باقي القرى المجاورة وسكانها.

وقد اختارت بريطانيا مدينة الطائف مسرحا لتنفذ فيها خطتها مع تأمين ابن سعود من ناحية العراق والأردن حتّى لا يمد أولاد الشريف حسين عبد الله وفيصل المساعدة لأبيهم، ولكي تبعد بريطانيا نفسها عن شبهة التورط ولكي تبين أن الخلاف عربي خالص وضعت خطة دعائية سبقت تحرك ابن سعود وتقوم على تشويه صورة الشريف حسين وأنه هو خائن هذه الأمة وأنه الذي قضى على الخلافة الإسلامية ووضع يده في يد المسيحيين وأن ابن سعود هو مخلص هذه الأمة من هذا الشر، معتمدة في ذلك على سيطرتها على مساحة كبيرة من المستعمرات وتوافر المطبوعات والمجلات

والصحف المنتشرة في كافة المستعمرات بل لمزيد من التخطيط فقد أوعزت إلى ابن سعود أن يرسل رسائل إلى جميع القناصل الأجنبية رسالة جاء فيها:

"ليس لنا في رعاياكم مسألة إلا إن كان لكم قدرة على إخراجه من جدة فأخرجوه وإلا ميزوا رعاياكم وعرفونا بمحلهم".

وفي يوم 14 أغسطس 1924 تحرك الجيش الوهابي بقيادة خالد بن لؤي منفذ مذبحة تربة والخورمة في اتجاه مدينة الطائف ومزوداً بكافة الأسلحة الحديثة وغذاء يكفي للحرب عامين وخطط عسكرية تدرس في أعرق الكليات الحربية في العالم، كل هذا وبريطانيا كأنها بعيدة كل البعد وأن هذا هو المخطط لكل هذه المعركة.

وبوصول خالد بن لؤي قامت قواته بتنفيذ المخطط البريطاني فقامت بفصل رؤوس الرجال وأصبحت الشوارع تسبح في بحيرة من الدماء حتّى بلغ عدد القتلى ألفين وسبعمائة وخمسين قتيلاً، وفر العديد من السكان إلى مكة ليحتموا بالحرم وقد نجحت خطة بريطانيا عندما أعلن

الشريف حسين مقابلة جيوش ابن سعود في شوارع مكة، لأنه بهذا التصريح كشف عن حالة الإحباط واليأس التي أصبح فيها لأن القتال في الحرم محرم لدى المسلمين، الأمر الذي دفعحزب الوطن الحجازي الذي أسسته بريطانيا إلى مطالبة الشريف بمغادرة البلاد حقناً لدماء المسلمين. وقد طلب أولاد الشريف حسين من بريطانيا التدخل لحل النزاع إلا أن بريطانيا ردت عليهم بأنها لا تتدخل في صراع بين عربيين حلفاء لها، وعادت بريطانيا وقررت التدخل وأمرت قوات ابن سعود بالتوقف عن الزحف، لعل الشريف حسين يقبل شروط بريطانيا ويعدل المعاهدة إلا أن إصرار الشريف حسين على تنفيذ بنود معاهدة دمشق سنة "1915" وتعديلها بإنشاء حكومة دستورية في فلسطين، جعل بريطانيا تتراجع عن مساعيها وطلبت من ابن سعود الاستمرار في الهجوم وطلبت من حزب الوطن الحجازي الضغط على الشريف حسين لمغادرة البلاد والتنازل عن الحكم لابنه علي.

وبالفعل تحقق ما أرادت إنجلترا فقد تنازل الشريف حسين عن الحكم لابنه علي وبعدها أصدرت بريطانيا تصريحا وبياناً

جاء فيه يوم 15 أكتوبر 1924 أنه بالنظر لتنازل الشريف حسين عن العرش فليس في وسع الحكومة البريطانية أن تواصل المفاوضات بشأن مشروع المعاهدة مع الحجاز كما وضعه الشريف حسين.

وبتنازل الشريف حسين والتصريح البريطاني دخلت جيوش ابن سعود مكة وتراجع جيش علي بن الشريف إلى جدة لتدور آخر معارك ابن سعود للوصول إلى عرش الحجاز.

وعلى مشارف جدة عسكرت قوات جيش الإخوان "الوهابيين" بقيادة عبد العزيز آل سعود لمدة عامين عجزت خلالهما عن الدخول إلى هذا الميناء الحيوي لأن قوات الملك علي بن الشريف حسين كانت أكثر خبرة وأكثر دراية بجغرافيا المكان بالإضافة إلى أن جدة كانت آخر أمل للشريف حسين بعد تنازله عن العرش، ومن العقبة حيث إقامته الجديدة أخذ يرسل المال والعتاد، فقامت بريطانيا بقطع أي محاولة للأمير عبد الله في الأردن فيصل في العراق لمساندة أخيهم في جدة كما قررت أيضاً طرد الشريف حسين من العقبة إلى منفي اختياري له في قبرص باعتبار أن وجوده يمثل خطراً

ويزعزع الأمن في هذه المنطقة.

وأرسلت بعثة من ثلاثة أشخاص بحجة أنهم لجنة للصلح بين المسلمين رغم أن أعضاء هذه اللجنة كانوا من المسيحيين. فالأول هو جون سانت فيلبي والثاني أمين الريحاني الوكيل الأمريكي في المنطقة والثالث طالب النقيب عدو الهاشميين والجميع مسيحيون، وإن كانت الحقيقة أن هؤلاء الثلاثة كانوا في مهمة تجسس على القوات الجوية لقوات الأمير الذي كان يملك "12" طائرة وكان جيش الإخوان يعتبرها شياطين والسيارات الحربية كانت حصان إبليس. وانتظرت شبكة التجسس وعبد العزيز آل سعود حتّى أكتوبر 1925 وهو شهر وصول ضابط المخابرات جلبرت كلايتون، وبمجرد وصوله إلى المنطقة قامت قوات الإخوان بعد أسبوع من وصوله بالهجوم على كافة الجهات ضد جيوش الملك علي لدرجة أن حاكم مكة استغاث بالعالم الإسلامي من هجوم جيوش الإخوان على مكة لتدميرهم وضربهم الأماكن الإسلامية وقتل الآمنين، لدرجة ضرب مدينة الرسول بالمدافع. وأمام هذا الهجوم اضطر الملك علي إلى

التسليم ولكنه أراد أن يثبت للعالم كله أن وراء هذه المؤامرة والقوة هي بريطانيا وليست أسرة آل سعود. لذا نراه يوم 16 ديسمبر 1925 يقوم بتسليم الحجاز للمعتمد البريطاني في جدة المستر جوردن وفي 21 ديسمبر 1925 غادر الملك على جدة إلى العراق. وفي اليوم ذاته وصل المستر جوردن والشيخ عبد الله زينل رئيس الحكومة المؤقتة، وقدمها لابن سعود قائلا أن المهمة الإنسانية التي يسعى إليها هي التوسط لحقن الدماء قد انتهت وإنه يقدم لابن سعود بصورة رسمية رئيس الملكية ورئيس العسكرية ليكونا مسؤولين أمامه فشكره ابن سعود واثنى على عمله في سبيل السلام. وبتسليم جدة طويت آخر صفحات المؤامرة البريطانية لتنفيذ مخططها لإقامة الدولة اليهودية ولتبدأ صفحة جديدة في الدور الذي بدأ يلعبه عبد العزيز آل سعود كبابا للإسلام وحامي المصالح البريطانية في المنطقة.

الفصل التاسع

الدور العلني لآل سعود

"وكما عرفت القومية العربية في تاريخها القديم عدوا اسمه الشعوبية فإنها في تاريخها الحديث تقاتل أعداء آخرين يحملون أسماء مختلفة: الإقليمية والكوزموبوليتية والأممية. وعلى الرغم من اختلاف الزمان والأسماء فإن العودة إلى التاريخ ما تلبث أن تماثل أعداء الأمس بأعداء اليوم لأن الهدف في تلوناته يبقى واحداً: تقطيع أوصال الأمة العربية".

بتسليم جدة ورحيل الملك علي إلى العراق وتسليم الحجاز إلى عبد العزيز آل سعود تبدأ مرحلة جديدة من مراحل أسرة آل سعود في تنفيذ وعد بلفور وإقامة وطن قومي لليهود ولكن هذه المرحلة تختلف عن سابقاتها، فالمرحلة السابقة كان دور آل سعود دوراً خفياً يتسم بالسرية، حرصت بريطانيا على إخفاء دورها في تحريك آل سعود ضد القضية العربية.

ولكن وعقب تسليم جدة دخلت العلاقة بينهما مرحلة العلانية وأصبح ابن سعود يجاهر بولائه للإنجليز وتنفيذ

رغباتهم، وبدأت بريطانيا على الجانب الآخر تتعامل معه على أنه هو بابا للإسلام.

وجاء المؤتمر الإسلامي الأول الذي عقد في عام 1926 تحت شعار تخليص العالم الإسلامي من الاستعمار هو أول اختبار لموقف عبد العزيز آل سعود من قضية فلسطين، وقد بدأ المؤتمر بالخطبة الافتتاحية والتي فضحت حقيقة عبد العزيز آل سعود والتي قال فيها: "إنكم أحرار اليوم في مؤتمركم هذا وراء ما يفيدكم به دينكم ومن التزام أحكامه إلا بشئ واحد وهو عدم الخوض في السياسة الدولية وما بين الشعوب وحكوماتها من خلاف فإن هذا من المصالح الوضعية الخاصة بتلك الشعوب".

ثم استكمل خطبته طالبا من الوفود أن تقتصر مناقشات المؤتمر حول بحث تحسين الطرق المؤدية بقوله أن استيلاءه على الحجاز أمر جازم.

وبهذه الخطبة أعلن عبد العزيز آل سعود موقفه بصراحة من قضية وضع فلسطين، ولم تكن الخطبة هي الإعلان الوحيد عن دور آل سعود في استغلال المؤتمر الإسلامي.

بل إنه عندما اجتمعت الوفود الإسلامية أمام الكعبة اقترح الشيخ عبد الله بن بلهيد أن تقسم الوفود الإسلامية الحاضرة المؤتمر على أنهم سوف يسعون بكل قواهم لتخليص الأماكن المقدسة من النفوذ الأجنبي وبمجرد اقتراح هذا القسم على الوفود وشرح أغراضه ورد الفعل الذي سوف يحدثه في نفوس المسلمين حين يتصل إلى مسامعهم وقتها، أظلمت الدنيا في عيني ابن سعود وحبذ مستشاريه لتأجيل البت في هذا الاقتراح إلى العام المقبل مؤكدا أن النية موجودة لمثل هذا العمل.

ولم يكن هذا هو آخر مواقف ابن سعود للحيولة دون مناقشة قضية وضع اليهود في فلسطين بل احتج وهدد بإلغاء المؤتمر وعدم استضافته مرة أخرى، عقب الموافقة على تأجيل القسم إلى العام المقبل طلبت الوفود مناقشة قضية تخليص المقدسات الإسلامية وإدراجها في جدول الأعمال بما فيها قضية الشام وبمجرد طرح هذا الموضوع للمناقشة علق ابن سعود استمرار المؤتمر على حذف هذا الاقتراح من جدول الأعمال.

وكانت أكثر المواقف بحاجة عندما طرح مستشارو عبد العزيز آل سعود فكرة تنصيب ابن سعود منصب بابوية الإسلام وذلك تحت شعار أن ابن سعود دان له حكم الحجاز لذا وباعتباره حارسا للأماكن المقدسة فلابد أن تكون له سيادة نوعية على العالم الإسلامي.

وهنا تدخل الشيخ الظواهري ممثل مصر ليفضح حقيقة علاقة آل سعود بالغرب، وبدأ كلامه بنقد خطبة الملك ابن سعود وكانت بدايته مقولته أننا لا نقبل تدخلاً أجنبياً في هذه البلاد الطاهرة أيا كان نوعه، وكان رد الشيخ الظواهري على هذه الفقرة أن كلمة أجنبي هذه مجملة فإذا كان المراد بها من يدين بالإسلام فذلك ما يؤيده فيه كل العالم إلا أن تطبيق ذلك مع الجمع بين سلطنة نجد ومملكة الحجاز يحتاج إلى دراسة المعاهدات التي عقدتها نجد مع الدول الأجنبية خشية أن يكون فيها ما يحمل إقرار الجميع بوجه من وجوه التدخل الذي نهى عنه الملك، وضرب مثلاً لذلك بأنه إذا فرض أن لدولة أجنبية حق التدخل في تعيين سلطان نجد من بين آل سعود كان معنى ذلك أن لهذه الدولة حق التدخل في تعيين ملك الحجاز ما دام

سلطان نجد هو ملك الحجاز.

وقد سببت هذه الاستفسارات من الشيخ الظواهري إحراجا لابن سعود لدرجة تجنيده لكل مستشاريه للتوسط لدى الشيخ الظواهري لسحب مذكرته مقابل سحب الملك خطبته الافتتاحية.

وقد سحب الملك خطبته وسكت الشيخ الظواهري وماتت قضية المقدسات في فلسطين.

وقد تنبه الإنجليز وقتها وابن سعود بضرورة تعديل معاهدة الحماية البريطانية على الحجاز وكافة اتفاقياتها مع ابن سعود.

لأن المؤتمر كشف إمكانية ثورة المسلمين من أجل الأماكن المقدسة، وكان مخططها هو تنصيب ابن سعود كبابا للإسلام ليخدم مصالحها، لذا فقد قامت بريطانيا بتعديل معاهدة 1915 التي من شأنها إثارة مشاعر المسلمين وإبرام معاهدة جديدة تحقق لابن سعود قدراً من الوضع المتميز مع عدم الالتزام ناحيته بأية تعهدات حول وضعها في البلاد العربية خاصة مسألة فلسطين، حتّى لا يحدث لها مثل الذي حدث من الشريف

حسين. وبتلك المعاهدة أصبح ابن سعود بابا للإسلام لوقوع الأماكن الإسلامية تحت حمايته وأطلق لبريطانيا العنان لتحقيق حلمها بزرع جرثومة على جانب قناة السويس لتأمن ممتلكاتها عبر البوابة السرية.

وبمجرد تعديل المعاهدة والتعامل مع ابن سعود على أنه بابا للإسلام بدأ ابن سعود يلعب دورا جديداً يقوم على البعد كل البعد على ما يتعارض مع مصالح بريطانيا ومخططها في المنطقة العربية، ولعل موقفه من ثورة البراق التي وقعت احداثها عام "1929" هو خير دليل على هذا الكلام.

فالبراق عبارة عن حائط بحي الحرم الشريف ويعتقد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد عرج منه إلى السماء في ليلة الإسراء وأن البراق ربط في تلك الليلة في الغرفة التي يدخل جزء منها وسط الحائط الغربي ويسمى هذا الحائط البراق، والمسلمون وهم يملكون الحرم الشريف يملكون أيضاً الحائط الغربي منذ أكثر من ألف وثلاثمائة عام والرصيف الملاصق لهذا الحائط والذي يقف عليه اليهود عند قيامهم بفروض الصلاة وقف إسلامي مؤيد لدى متولي الوقف وقد عنى به

المسلمون على مختلف الأزمان عناية خاصة.

وحائط البراق هو في الوقت نفسه حائط المبكي وآخر آثار الهيكل اليهودي الذي هدمه الرومان يؤمه اليهود ويبكون مجدهم الغابر، وقد سمح لهم المسلمون منذ القرون الوسطى بزيارة هذا الحائط على أن يكتفوا بالزيارة وفي يوم الصيام المعتاد المعروف باسم تسعة "آب" والذي يحتفل فيه بذكرى آخر هيكل لليهود جرت العادة عند اليهود ممن يكونون بالقدس أو بالقرب منه ويستطيعون زيارة الحائط أن يقوموا بهذه الزيارة بشرط احترام قدسية المكان الإسلامي. ولكن ومنذ انتهاء الحرب العالمية أخذ اليهود يفكرون في تثبيت حقوق واسعة لهم في هذا المكان عن طريق الحال الذي كان موجوداً قبل الاحتلال، وبدأوا خطواتهم الأولى عام 1919 بما قدموا من عرائض رسمية نشروها في مقالات عديدة، لدرجة نشر صورة هيكل جديد مكان مسجد قبة الصخرة ونشروا الصور يعلوها العلم الصهيوني. وفي عام 1929 وعقب انتهاء المؤتمر الصهيوني السادس عشر الذي عقد بزيورخ في شهر يوليو وتقرر فيه طلب فتح باب الهجرة على

مصراعيه، عقد أول اجتماع تأسيسي للوكالة اليهودية خلال الفترة من 28 يوليو إلى 11 أغسطس وأرسلت الوكالة رسالة إلى حاكم مدينة القدس أكدت فيها على ان عدداً من الشباب اليهودي يريدون زيارة حائط المبكي، وقد وافق حاكم القدس بشرط عدم الهتاف أو رفع الأعلام والتظاهر احتراما لمشاعر المسلمين.

ولكن وبمجرد وصول موكب اليهود إلى حائط المبكي ارتفعت الأعلام وحاولوا عمل ستائر حول حائط البراق وأخذوا ينشدون نشيد هاتيكفا وهو النشيد اليهودي وأخذوا يرددون قولهم الحائط حائطنا عار على الذين يدنسون أماكننا المقدسة، عار على الحكومة. الأمر الذي أثار المسلمين وهبوا للدفاع عن المسجد الأقصى، وبدلا من منع اليهود قامت الشرطة البريطانية بضرب المسلمين وإلقاء القنابل على المسجد الأقصى.

وباعتبار ابن سعود هو بابا المسلمين فقد كان المتوقع منه التدخل لحماية مقدسات المسلمين لأنه سبق أن طلب عام 1926 أن تكون له سيادة نوعية على العالم الإسلامي. ولكن

كل ما فعله هو إرسال خطاب إلى ملك بريطانيا عبر فيه عن سوء الأثر الذي أحدثه تدخل بريطانيا إلى جانب اليهود.

وتوالت بعد ذلك المواقف المخذلة لابن سعود، ففي يوم 7 ديسمبر 1931 عقد مؤتمر إسلامي بالقدس لمناقشة قضية المقدسات الاسلامية، غلا أن ابن سعود رفض الحضور بعد أن علم أن هناك "145" شخصية عربية قررت اتخاذ موقف جماعي ضد الاستعمار البريطاني في القدس، لذا فقد رفض ابن سعود الحضور أو إرسال مندوب عنه خوفا من أن تغضب عليه بريطانيا.

**** ثورة 1936:**

ولعل ما حدث عام "1936" هو أخطر دور لعبه ابن سعود في خدمة اليهود، وهذا العام هو الذي شهد قيام أول ثورة فلسطينية حقيقية بعد أن تأكد الفلسطينيون أن عدوهم الأول هو بريطانيا. وقد اشتعلت الثورة ولاقت تأييداً من كافة دول العالم الإسلامي، وأصبحت بريطانيا في موقف لا تحسد عليه لدرجة أنها بدأت تعيد حساباتها بشأن وضع فلسطين بعد أن بدأت رياح التمرد تظهر بين المسلمين وتؤيد الثورة.

هنا لجأت بريطانيا إلى بابا المسلمين وحامي الحرمين وبدلا من أن يعلن تأييده للثورة وإعلان الجهاد من فوق منبر الحرمين نجد أنه يلعب أخطر دور في تاريخ المسلمين، فقام يوم 13 يولية 1936 بإرسال رسالة إلى عبد الله بن الشريف حسين أمير الأردن يقترح فيها التقدم لتوجيه نداء عام يشترك فيه سموكم وجلالة الأخوين الملك غازي والإمام يحيى ندعو فيه أهل فلسطين لتوقف الاضطرابات ليفسحوا للحكومة البريطانية المجال لإنصافهم في جو هادئ، فإن مثل هذا النداء إذا قبل ووقفت الحركة، بعده يكون لنا جميعا وجه عند الحكومة في رجائها بقبول مطالب أهل فلسطين وإنصافهم. وفي يوم 12 أغسطس من نفس العام أرسل إلى اللجنة العربية نداء داء فيه أن الواقع في بلاد فلسطين قد آلمنا كما آلم كل مسلم وعربي ومن أجل ذلك توالت المراجعات والمداولات منذ مدة بيننا وبين جلالة الملك يحيى والملك غازي. وبريطانيا على استعداد لنظر قضية فلسطين بعين العطف بعد أن تهدأ الحالة.

واستجابت اللجنة العربية وأهل فلسطين لنداء بابا الإسلام

وتوقفت المظاهرات وهدأت إلى الحالة التي استطاعت فيها بريطانيا توسيع قبضتها وإحكام سيطرتها على البلاد وانتظر أهل فلسطين نظر بريطانيا إليهم بعين العطف حول مطالبهم.

وكان رد بريطانيا حول مطالب أهل فلسطين هو ما قيل تحت قبة مجلس العموم في 4 نوفمبر 1936 والذي أعلنه وزير المستعمرات البريطاني والذي جاء فيه: لم تتقدم حكومة صاحبة الجلالة بأي طلب على الإطلاق إلى أن من الحكام العرب للمساعدة أو المشورة فيما يتعلق بفلسطين وأن الحكام العرب قد أبدوا تلقائيا وبالطرق السلمية رغبتهم في استخدام نفوذهم لدى عرب فلسطين لصالح السلام، وقد أخبروا رداً على استفساراتهم بشأن موقف حكومة صاحبة الجلالة من القضية أن الحكومة ليس لديها اعتراض على أن يوجه الحكام العرب نداء إلى عرب فلسطين بإيقاف الاضطرابات وحملات العنف شريطة أن يكون غير مشروط، ولم تقدم حكومة صاحبة الجلالة أية تعهدات أو دعوة صريحة أو ضمنية، كما أنه كان واضحا تمام الوضوح للحكام المعنيين أن حكومة صاحبة الجلالة غير مستعدة للدخول في أي نوع من التعهدات

على الإطلاق.

وإذا كان ابن سعود قد تدخل لإجهاض أول ثورة فلسطينية لصالح بريطانيا عام 1936، إلا أنه لم يحاول أن يكفر عن خطاياه بل اندفع اندفاعا لخدمة بريطانيا على حساب المقدسات الإسلامية، مستغلا منبر الحرمين في الدعوة لبريطانيا ومجدها. وقد أكدت الحكومة البريطانية على أهمية الدور الذي لعبه ابن سعود أثناء الحرب العالمية في تقرير 28 أبريل 1943 والذي أعده تشرشل والذي جاء فيه:

"إن الساسة العرب باستثناء ابن سعود والأمير عبد الله لم يبدوا أي تعاطف نحو بريطانيا أثناء الحرب".

أما عن الدور الذي لعبه ابن سعود أثناء الحرب فكان أوله هو إرسال ابنه على رأس قوة إلى مرسي مطروح للحرب بجانب بريطانيا، في وقت كان يستطيع أن يقطع كل خطوط الإمداد عن بريطانيا لموقعه المتميز.

وأثناء الحرب العالمية الثانية أعلن المسلمون العصيان على بريطانيا وهاجموا القوات البريطانية وكان ينقصهم الدعم المعنوي من حامي الحرمين إلا أنه لم يستطع الإقدام على أية

خطوة تهدد حكومة صاحبة الجلالة.

وفي العراق وعلى بعد كيلو مترات منه قامت الثورة العراقية بقيادة رشيد غالي وبدلا من تقديم العون لهم أغلق حدوده ورفض تقديم أية مساعدات وكانت آخر أدوار ابن سعود في خدمة بريطانيا لصالح اليهود هو ما حدث في 8 يونية 1946 أثناء انعقاد دورة طارئة للجامعة العربية لمناقشة الاقتراحات والإجراءات التي يجب اتخاذها لمواجهة موقف لجنة البريطانية الأمريكية الخاصة بتحقيق وعد بلفور وإقامة وطن قومي لليهود.

في هذا التاريخ استقر رأى الوفود العربية في فندق بلوردان بسوريا على أن:

1 - الحالة في فلسطين تتطور إلى صدام عنيف وقد ينشأ عن ذلك أن يتخذ عرب فلسطين لأنفسهم الحيطة بترتيبات مماثلة ويقع الاحتكاك بين القوتين ولن تستطيع الحكومات العربية منع شعوبها من التطوع بجميع الوسائل لنصرة عرب فلسطين بالمال والسلاح والمجاهدين.

ثم كان الاقتراح الثاني الخاص بإلغاء ما يكون لبريطانيا

وأمريكا من امتيازات داخل الوطن العربي هو أهم الاقتراحات.

وقتها أرسل ابن سعود رسالة إلى مندوبه رافضا تلك الاقتراحات متعللاً أن جلالته يرى التزام سياسة الحذر وألا تغامر الدول العربية بأمر لا تثق بنتائجه.

***** تغير القبلة ناحية واشنطن:***

عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية خرجت بريطانيا مدينة للولايات المتحدة الأمريكية بـ 450 مليون جنيه بالإضافة إلى أن الولايات المتحدة قامت بإلقاء قنبلتي هيروشيما ونكازاكي لتجمع بذلك بين القوة العسكرية والاقتصادية، فكان من الطبيعي أن تتلاشى الامبراطورية البريطانية ويغيب نجمها أمام القوة الأمريكية وتسلم لها ميراثها كله في الشرق، لذا كانت أول خطوة اتخذها ابن سعود هو تغيير قبلته من لندن إلى واشنطن ليبدأ في تنفيذ نفس الدور الذي لعبه لصالح بريطانيا في الماضي. وكانت البداية في يناير 1945 عقب نهاية مؤتمر يالطا عندما فاجأ الرئيس روزفلت المستر تشرشل بعزمه الطيران إلى البحيرات المرة بمصر لمقابلة

الملك فاروق والملك عبد العزيز آل سعود وهيلا سلاسي. وفي اتجاه ميناء جدة تحركت مدمرة أمريكية لنقل ابن سعود إلى الإسماعيلية لمقابلة روزفلت لتصل إلى الإسماعيلية يوم 14 فبراير وعلى ظهر الطراد الأمريكي أعلن روزفلت تبعية ابن سعود لأمريكا وإنهاء سيطرة ونفوذ بريطانيا عليه، الأمر الذي دفع تشرشل أن يقول مقولته المشهورة: "إن هناك مؤامرة لنسف الامبراطورية في تلك الجهات".

وأصبح عبد العزيز يؤدي نفس الدور الذي كان يؤديه لصالح بريطانيا، وعندما أبدى أصحاب شركات التنقيب عن البترول مخاوفهم من خطورة تورط الولايات المتحدة الأمريكية في المشكلة العربية الفلسطينية، رد الرئيس الأمريكي على مخاوفهم بنص رسالة مرسلة إليه من عبد العزيز آل سعود في عام 1943 طلب فيها ابن سعود من الإدارة الامريكية أن تستشيره قبل الإقدام على أي عمل يتعلق بفلسطين وردت الحكومة الأمريكية عليه بأنها لم تتخذ أي خطوة في تأييد إقامة الوطن اليهودي دون مشورته في 26 آبار 1943. هذه الرسالة كانت اللغز الذي ظل لسنوات يبحث عن إجابة على

التساؤل حول كيفية قيام دولة يهودية بمباركة أمريكية رغم مخاوف أصحاب شركات النفط على مشاريعهم، وكانت رسالة آل سعود إلى الإدارة الامريكية وطلب المعرفة والمشورة قبل الإقدام هي خير إجابة على السؤال.

فما عاد على ابن سعود وأسرته من أرباح البترول يفوق في أهميته فلسطين فالبترول سلعة استخراجية في بلد متخلف لا تملك وسائل تكريره واستخراجه، والإدارة الأمريكية وشركاتها قدمت المال والمعدات لابن سعود وتأمين الملك وحكمه بعد زيادة النفوذ الروسي وأطماعه في المنطقة العربية. كل هذه الأساليب تؤكد أن ابن سعود كان له دور في إقامة الدولة اليهودية.

الفصل العاشر

شهادات تاريخية

بالصور

اعترافات تاريخية

الشهادة هي تقرير يصدر عن شخص في شأن واقعة عاينها بحاسة من حواسه وهي دليل إدانة مباشر باعتبارها تنصب على الواقعة.

ومنذ توقيع أول معاهدة بين بريطانيا وعبد العزيز آل سعود في أوائل هذا القرن أوفدت بريطانيا عدداً من المستشارين ورجال المخابرات للعمل بجانب عبد العزيز لتوجيهه وتعليمه لضمان تنفيذه للمخطط البريطاني في المنطقة العربية. هؤلاء المستشارون والعسكريون سجلوا في مذكراتهم آراءهم في عبد العزيز آل سعود وحقيقة الدور الذي قام به في خدمة المخطط البريطاني. من هؤلاء الذين عملوا كان برسي كوكس مسؤول المخابرات البريطانية للمنطقة العربية وجون سانت فيلبي المستشار السياسي لعبد العزيز وسعيد الكردي رئيس

المخابرات السعودي، بالإضافة إلى ذلك فإن هناك آراء رئيس وزراء بريطانيا ونستون تشرشل ورئيس الولايات المتحدة الأمريكية روزفلت.

هؤلاء تحديدا.. اختيارهم تم وفقا لمعايير محددة أولها طبيعة وظيفتهم.

الاسم: برسي كوكس

الجنسية: إنجليزي

الوظيفة: مدير مكتب المخابرات البريطانية لشؤون منطقة الشرق الأوسط

يقول الكولونيل برسي كوكس: "لقد كانت أول مرة أقابل فيها أميرنا عبد العزيز ابن آل سعود، ولقد أعجبت به ولم يخب ظن أحدنا بالآخر وقلت له: إنك شخصية قوية يا عبد العزيز. فرد عبد العزيز بقوله: أنتم الذين كونتم لي هذه الشخصية، وهذا الجاه ولولا بريطانيا العظمى لم يكن يعرف أحد أن هناك شيئاً اسمه عبد العزيز آل سعود، لولاكم كنت أقيم لاجئاً في الكويت، إنني بكم وصلت إلى لقب الأمير عبد العزيز بن سعود وسوف لن أنسى لكم هذا الفضل مدى حياتي وسأبقى لكم مطيعاً منفذا

لما تريدون".

ورد السير برسي كوكس قائلا: "نحن لم نمنحك لقب "أمير" فقد كنت أميرا بطبيعتك، أما اللقب الذي سأقلدك وسامه الآن باسم بريطانيا فهو لقب عبد العزيز سلطان نجد والإحساء والقطيف والجبيل".

فقلدوه وسام السلطنة البريطاني. وقال: وفي المستقبل القريب سنقلدك وسام سلطنة حائل بعد القضاء على خصومنا ثم سلطنة الحجاز ونجد لتصبح سلطان نجد والحجاز وملحقاتهما ثم نجعل منك ملكا بعد تسليمك عسير وبعض الإمارات الأخرى لنطلق اسمكم فتصبح "المملكة السعودية". وهنا استفسر عبد العزيز وهو يقبل جبين الكولونيل كوكس ويده اليمني ترتعش من شدة الفرح ويردد: "الله يقدرنا على خدمتكم.. الله يقدرنا على خدمة بريطانيا. ماذا تعني بالإمارات يا سيدي برسي؟" فتكلم المستشار عبد العزيز الدملوجي مسابقاً الكولونيل بقوله: إن الكولونيل يعني بالإمارات الأخرى مثل البحرين والكويت وقطر والشام وفلسطين والعراق واليمن. فقاطعه السير برسي كوكس بكلمة حاول فيها إخفاء ملامح

الغضب من وجهه بابتسامة استخفاف قائلا: كلا.. كلا. إنّما أقصد: نجد وحائل والحجاز والإحساء والجوف، لأننا لا نضمن وقوف آل رشيد أو استمرار الحسين بن علي معنا، ولذلك سننقل الحسين بن علي لتعيينه إذا اراد واولاده ملوكا على العراق وسوريا ولكننا نعتقد ان الحسين سيرفض الاستجابة لتعيينه في منصب أصغر مما يتخيله في عقله، وحينها سنضطر إلى نفيه بعيداً، أما أولاده فنتوقع موافقتهم، أما إمام اليمن فهو الآن يحارب الأتراك في اليمن وسنضع حدوداً لكل من ممالككم.

ونحن نحارب توحيد البلاد العربية تحت حكم رجل واحد حتّى ولو كان ملكا لأن هذا ليس في صالح بريطانيا فالتوحيد سينتج عنه ذوبان الإقليم وتلاشى التبعيات، وبذلك يصبح العرب قوة كبرى تقف في وجه مصالحنا المشتركة كما أن وضع البلاد العربية تحت حكم شخص واحد سيضعف هذا الشخص في يوم من الأيام وقد تحدث بعد ذلك ثورات قد تؤدي إلى قيام جمهورية عربية واحدة، ثم إن عندنا الآن مشكلة اليهود وفلسطين، إننا نريد حسمها لنمكن اليهود من العيش في وطن

لهم بعد هذا التشرد الطويل ونريد أن يساعدنا ملوك العرب بصفتهم يمثلون الشعوب العربية التي ستعارض فكرة إعطاء اليهود أرضا في فلسطين فما هو رأى السلطان عبد العزيز؟

الشهادة الثانية:

مستحيل أن تجد بريطانيا من تستطيع أن تقوده أو تسوقه أو توقفه متى شاءت أو تحركه طوع إرادتها فيتحرك خلاف عبد العزيز بن سعود مهما كثر عملاء بريطانيا.. إنه أخلص المخلصين لنا.. ولهذا يجب أن ننهى الشريف حسين من الحجاز. وأنه لا مجال للمقارنة بين الشريف حسين وعبد العزيز آل سعود. وإذا طلب منا الشريف حسين معرفة رأى بريطانيا عن تجاهلنا له فيجب أن نصارحه بالأمر الواقع. أما إذا لم يطلب فسنتركه حتّى يتولى مكانه ابن سعود والمهم أن نمكن عبد العزيز ماليا وعسكريا لاحتلال حائل، فهي الخطر الصامد أمامنا بقبائلها شمس المقاتلة القوية حتّى نقضي على "آل الرشيد". فرد الكولونيل سيرسل ولسون على السير كوكس مؤيدا الإبقاء على الشريف مع الانتفاع بالاثنين ـ الشريف وابن سعود ـ ومما قاله: "إنك قلت يا سيد كوكس أن

مشيك على قدم واحدة في الجزيرة العربية يتعبك جدا" فرد السير كوكس عليه قائلا: "كلا.. إننا سنمشي على قدمين مع أن الإنسان قد يستغني عن واحدة إذا أصيبت بداء فيقطعها.. إنني أكدت لكم أن ابن سعود أصلح لنا من الشريف حسين الذي رفض التوقيع أو الموافقة لإقرار وضع اليهود في فلسطين. ولهذا نريد أن نرسل ابن سعود لتأديب الشريف حسين وإخضاعه لنا وإذا لم يخضع فسيرى الجميع آنذاك أن استئصاله أصلح لنا مع الاستفادة من استئصاله من أبنائه في أماكن أخرى غير الحجاز وتسليم الحجاز لابن سعود!

الاسم: جون سانت فيلبي

المهنة: المستشار السياسي للملك عبد العزيز آل سعود

وبعد شهرين من وصولي الأردن قمت بجولة في أنحاء فلسطين وكانت الثورة الفلسطينية في بدايتها ويعيش الإنكليز في قلق نمها، فحاول بعضهم توسيط الأمير عبد الله لدى الثوار الفلسطينيين بإيقاف الثورة فحبذت الفكرة لعلمي أن عبد الله سيفشل في وساطته لعدم نفوذ الأمير عبد الله بين الفلسطينيين، وبالتالي سيكون الجو مهيئاً لصديقنا العزيز عبد

العزيز، فتنجح وساطته فترتفع أسهمه لدى الإنكليز أكثر فأكثر، وهكذا نجح عبد العزيز بما فشل فيه عبد الله عام 1936 م بل إنه بمجرد أن عرض عبد العزيز آل سعود وساطته لدى وجهاء فلسطين قبلوا وساطته بإيقاف الثورة ضد الإنكليز، واثقين مما تعهد لهم عبد العزيز به وأقسم لهم عليه قائلا: "إن أصدقاءنا الإنكليز تعهدوا لي على حل قضية فلسطين لصالح الفلسطينيين وأنني أتحمل مسؤولية هذا العهد والوعد". وقد نقل لهم هذه الرسالة لصالح الفلسطينيين وأنني أتحمل مسؤولية هذا العهد والوعد". وقد نقل لهم هذه الرسالة ابنه فيصل ثم ألحق به ابنه الثاني سعود.. وكان لنجاح وساطة عبد العزيز آل سعود صداها القوي لدى الإنكليز واليهود، وكانت المنعطف الأكبر في تاريخ فلسطين. وعزز ذلك النجاح الباهر كافة آرائي بعبد العزيز أمام رؤسائي بل وحتى ويعتبرهم أصلح لنا من آل سعود.. وأثناء رحلتي تلك إلى فلسطين عرجت إلى تل أبيب وقابلني الزعيم اليهودي ديفيد بن غوريون وكان فرحا لنجاح الوساطة السعودية التي أوقفت الثورة الفلسطينية، إلا أنه أبدى قلقه من سبب ابتعادي

عن عبد العزيز آل سعود وقال: إن وجودك "يا حاج عبد الله" مهم بالقرب من عبد العزيز هذه الأيام، فقلت لبن غوريون "إننا لم نعد نخشى على عبد العزيز آل سعود، فلديه من الحصانة ما يكفي لتطعيمي وتطعيمك!.. كما قد حصناه سابقا بعدد من المستشارين العرب بالإضافة إلى أن هناك من يقوم الآن بدوري لديه، مع أنني لم أبتعد هذه الأيام عنه لغير صالحه في ترويض خصومه في شرق الأردن. وبعد الاجتماع حملين بن غوريون رسالة لعبد العزيز آل سعود لأسلمها له شخصيا حينما ألتقى به في اللقاء المرتقب، وحينما جئت لأودع الأمير عبد الله متجها إلى الحجاز متمنيا من سموه تكليفي بأي خدمة يريد مني تأديتها لسموه في الحجاز، ابتسم عبد الله وهو يودعني ويقول: "إن إخلاصك لابن سعود". وسأل عبد الله قائلا: "هل لي بمعرفة شئ عن مهمتك في الحجاز الآن؟"

. قلت: "أنا يا سمو الأمير في مهمة حج لقضاء حاجة، كما يقول المثل النجدي".

والحقيقة أنني تعودت قضاء فريضة الحج في مكة مع عبد

العزيز كلما سنحت لي الفرصة لأكون معه قريبا من الله!..
وسافرت من الأردن إلى مكة وهناك قابلت الصديق الصدوق عبد العزيز آل سعود المتلهف لأخباري وما إن قابلته في مجلسه الواسع وسألني عن "العلوم" أي الأخبار حتّى أفهمته بإشارة يفهمها مني تمام الفهم وتعني "فض هؤلاء الناس الموجودين في المجلس" ففضهم ولم يبق سوانا نحن الاثنين. فطمأنته من أنني صفيت الوضع في الأردن لصالحه وصالح بريطانيا ثم قرأت عليه رسالة بن غرويون التي جاء فيها قول بن غوريون لعبد العزيز: "يا صاحب الجلالة.. يا أخي بالله والوطن" وكانت لكلمة "يا صاحب الجلالة" رنة في أذن عبد العزيز فهي أول كلمة يسمعها عبد العزيز بعد تولي العرش، إذ لم يتعود من عرب نجد سماعها أو دعوته إلا باسمه المجرد "يا عبد العزيز" أو "يا طويل العمر" على أكثر تقدير..
وعندها استوقفني عبد العزيز عن تلاوتي لرسالة بن غوريون متسائلا يقول "لماذا يدعوني "بن غوريون" صاحب الجلالة وأخوه بالله والوطن؟!" فقلت لعبد العزيز: إن جميع أهل أوروبا لا يلقبون ملوكهم إلا بأصحاب الجلالة أنهم ظل الله في

الأرض.. أما قول بن غوريون عن "إخوتك بالله والوطن" "فكلنا إخوة له بالله والوطن وأنت أعرف بذلك!" فقال: " الآن فهمت.. رسالتك يا حاج" فتلوت الرسالة التي جاء فيها قول بن غرويون "إن مبلغ العشرين ألف جنيه استرليني ما هو إلا إعانة منا لدعمك فيما تحتاج إليه في تصريف شؤون الملك الجديد في هذه المملكة الشاسعة المباركة وإني أحب أن أؤكد لك أنه ليس في هذا المبلغ ذرة من الحرام، فكله من تبرعات يهود بريطانيا وأوروبا الذين قد دعموك لدى الحكومة البريطانية في السابق ضد ابن الرشيد وكافة خصومك، وجعلوا بريطانيا تضحي بصديقها السابق حسين لأجلك لكونه رفض حتّى إعطاء قطعة من فلسطين لليهود الذين شردوا في العالم".

ويتابع فيلبي قوله: " لقد استوقفني عبد العزيز مرارا متسائلا عن الكثير من جمل تلك الرسالة، من ذلك أنه سألني عن مبلغ الـ 20 ألف جنيه استرليني قائلا: " وهل ينوي بن غوريون تهديدي بهذا المبلغ الذي بعثه لي بواسطتك؟ وهل ول عرفت حكومة بريطانيا فتقطع عني المرتب الشهري والعون؟" قلت:

أبدا.. إن اليهود في بريطانيا هم حكام بريطانيا بالفعل، إنهم الحكم والسلطة والصحافة والمخابرات البريطانية، إن لهم مراكز النفوذ الأقوى في بريطانيا وكانوا وراء دعمك وعونك ووراء الاستمرار في صرف مرتبك حتّى الآن عن طريق المكتب الهندي.. كما كانوا في السابق وراء قطع هذا المرتب لاختبارك: هل سترفض أو لا ترفض التوقيع بإعطاء فلسطين لليهود"..

قال عبد العزيز: " وهل اطلع أحد على رسالة بن غوريون هذه؟" فأجبته: " لم يطلع عليها سوى أربعة"!! فبدا على وجه عبد العزيز الامتعاض الشديد أثناء تساؤله بلهفة عن معرفة هؤلاء الأربعة: من هم الأربعة يا حاج فيلبي؟ أنا لا أخشى غضب الله أحد إلا غضب الله وبريطانيا". قلت لعبد العزيز: إن هؤلاء الأربعة هم "الله وأنا وبن غوريون وعبد العزيز". فضحك عبد العزيز لهذا وهو يقول: "الله الأول عالم بكل شئ، أما الثلاثة الباقون فقد ضحكوا على الله، لكنني أسألك عن "عبد الله" وعلى الاخص " عبد الله" الذي في الأردن، هل أخبره بن غوريون بشيء حينما التقى معه؟"

ويقصد بذلك أمير الأردن عبد الله ـ الملك عبد الله فيما بعد ـ قلت لك: " لم يعرف عبد الله أي شئ وأنت تعلم أننا لو أردنا اطلاعه على الأسرار التي بيننا وبينك لما منحناك عرش الحجاز ومنحناه غور الأردن". وانتهى اللقاء بتحميلي وصية شفهية من عبد العزيز لبن غوريون يقول فيها: "قل للأخ بن غوريون إننا لن ننسى فضل أمنا وأبينا بريطانيا كما لن ننسى فضل أبناء عمنا اليهود في دعمنا وفي مقدمتهم السير برسي كوكس، وندعو الله أن يلحقنا أقصى ما نريده ونعمل من أجله لتمكين هؤلاء اليهود المساكين المشردين في أنحاء العالم لتحقيق ما يريدون في مستقر.

"إن مشكلة فلسطين لم تكن تبدو "الابن سعود" بأنها تستحق تعريض علاقاته الممتازة مع بريطانيا وأمريكا للخطر! ويقول جون فيلبي: "وكان مستقبل فلسطين كله بالنسبة لعبد العزيز آل سعود أمرا من شأن بريطانيا الصديقة العزيزة المنتدبة على فلسطين ولها أن تتصرف كما تشاء، وعلى عبد العزيز السمع والطاعة".

" وكان من أساس الاتفاق لإنشاء الوجود السعودي أن تقوم

سياسة آل سعود على ألا يتدخل الملك عبد العزيز وذريته من بعده بشكل من الأشكال ضد المصالح البريطانية والأمريكية واليهودية في البلاد التي تحكمها بريطانيا أو تحت انتدابها ونفوذها ومنها فلسطين".

" وكان الملك عبد العزيز يعلن أن العرب سوف يخضعون لتقسيم فلسطين إذا فرضته بريطانيا العظمى وقد تقدمت لعبد العزيز باقتراح للموافقة بتسليم فلسطين كلها إلى اليهود مقابل استقلال البلاد العربية كلها وضمان إسكان أهلها الذين سيخرجون منها بطريقة كريمة"!

"والرجال الذين حوله كانوا لا يوافقون على آراء الملك بالنسبة لقضية فلسطين.

فكان من رأى الملك أنه لا يرى في فلسطين ما يستحق أن يحمله على شل علاقته ببريطانيا وأمريكا".

"ويبدو ان هذا الإعجاب كان متبادلا بين بريطانيا وأمريكا وبين الملك عبد العزيز في الفترة الأخيرة في حياته التي تلت الحرب العالمية الثانية مباشرة وأنه قد حمله ونستون تشرشل زعيم بريطانيا على التفكير بأن يجعل من الملك السعودي

زعيما لا ينازع للعالم العربي.

"لقد أعلن الملك رأيه بصراحة بأن العرب لن يوافقوا على التقسيم أو يعترفوا بأي حق لليهود في فلسطين، ولكنهم سيذعنون إذا ما فرضت بريطانيا عليهم التقسيم".

الاسم: روزفلت

الوظيفة: رئيس الولايات المتحدة الأمريكية

يقول: إنني معجب بك يا عبد العزيز لا لأننا نعتبرك زعيم العرب الأكبر وكبير المسلمين الأوحد فحسب، وإنما لإخلاصك لنا فأنت لن تتغير مهما كبرت وعظم شأنك لأنك جوهر ثمين لا يقدر بثمن بالنسبة لنا، وإنني أطمئنك بأن الروابط التجارية والاقتصادية والعسكرية والأخوية ستزداد بيننا وثوقاً لما يبذله كل منا في سبيل مصالحنا المشتركة ولابد من إيجاد حل لقضية فلسطين يطمئن الشعب اليهودي المشرد تكونون عونا لنا فيه والدين الإسلامي الذي اعتنقتموه وأصبحتم قادته دين محبة وإخاء يحترم كل الأديان السماوية ويؤمن بكل الأنبياء والرسل وما جاءوا به، واليهود هم أقرب لكم منا ولابد من مضاعفة جهودكم لدى العرب والفلسطينيين خاصة لقبولهم

بهم وإقناعهم أن الجميع أبناء سام".

وتعهد عبد العزيز لروزفلت "أنه في حال تشريد عدد كبير من الفلسطينيين بعد إعلان إسرائيل في فلسطين: تشغيل قسم كبير من اللاجئين في شركة آرامكو وبعض الأعمال الأخرى وحفر آبار جوفية في صحراء "قرية" الواقعة بين الكويت "والسعودية" لمن يريد الاستيطان بالرغم من أنني لا أخفيكم مخاوفي من أن ينقل الفلسطينيون بذور الفتنة لرعايانا فيثيروا الرعية لكنه ما عندي لهم إلا السيف وأنا معكم في كل شئ إلى يوم القيامة".

الاسم: سعيد الكردي

الجنسية: سعودي

الوظيفة: الرئيس الأسبق للمخابرات السعودية

لا يا طويل العمر!.. لقد كنت أنا من قادة جنود الشريف حسين بن علي الذين حاربوكم في الطائف، وكنت من قادة جيش الشريف علي بن الحسين الذين حاربوكم في الرغامة في جدة أنا الآن رئيس استخباراتكم ولدي من المعلومات سابقا وحاليا الشيء الكثير.. والله لو اعتمدتم على جمالكم وسيوفكم العتيقة

لما دخلتم الحجاز وحكمتموها لحظة واحدة، ولكنها مدافع الإنكليز وبواخرهم وأسلحتهم الهائلة وإرادتهم المصرة على تسليمكم عرش الحجاز بعد أن رفض الحسين مطلب الإنكليز بتقسيم الوطن العربي إلى دويلات ورفض إعطاء فلسطين لليهود، ووافق والدكم على ما رفضه الحسين، هذا هو السبب الثاني. كما أن الإنكليز استطاعوا إغراء "الشريف" خالد بن لؤي ضد أبناء عمه الحسين وأولاده فقادكم ابن لؤي إلى بلاده، وأما أنا فانظر ـ إلى أسناني: انها كأسنان بقية الجنود التي تساقطت من حصار الجوع والعطش الذي فرضته البوارج الحربية الإنكليزية على الحجاز لصالح والدكم، فمنعت قوات الإنكليز عنا وعن المواطنين الطعام الوارد من البحر ومنعوا الماء، في الوقت الذي نرى جنود والدكم في مخيم الرغامة وغيره يكدسون فضلات الطعام ويسكبون المياه في الصحراء ونحن بحاجة إلى ما يسد الرمق، الأسلحة التي تفرغها البوارج الإنكليزية للجند السعودي نراها مكدسة كالتلال، ونحن لا سلاح يذكر لدينا.. ولا ذخيرة من الإنكليز.. هذه هي السيوف الحقيقية التي أخذتم بها الحجاز وغيره ـ يا

طويل العمر ـ ولا تحرجني أن أقول أكثر من هذا !! لا تحرجني أن أقول أنكم لم تجرؤوا على مزايدة الحسين بالدين، في الوقت الذي أطلقتم على ابن الرشيد أنه كافر بالدين واتهمتم أهل نجد وعسير واليمن والإحساء والجوف بالكفر.

الاسم: ونستون تشرشل

الجنسية: بريطاني

الوظيفة: رئيس الوزراء بريطانيا

إنك تختلف اختلافا كلياً عن بقية زعماء العرب يا عبد العزيز، بما لديك من إمكانيات إقناع الآخرين، لهذا فإننا نعلق عليك أهمية كبرى، ونحن على يقين عندما ناصرناك أولا من أن جهدنا لن يضيع سدى، وأن رأينا فيك في محله.

فقال عبد العزيز: إنني أنا عبد العزيز لن أتغير، وسأظل أنا وذريتي من بعدي دعامة كبرى لبريطانيا وحليفتها أمريكا، وأنا صريح كل الصراحة معكم، ولن أنسى فضلكم عليّ فولاكم لم أحصل ما حصلت عليه، والدنيا كلها مصالح متبادلة وأنتم أصحاب السخاء والفضل الأول، ومهما فعلت في خدمتكم فلن أرد لكم بعض جميلكم عليّ.. وإنني أكرر موافقتي بإقامة دولة

لليهود في فلسطين على ألا تقوم ضجة حول مناصرتي لكم وموافقتي هذه، فقد يكثر الأمر فتفسد الخطة، ويجب أن نظهر مالا نبطن، وقد اتفقت مع روزفلت قبل أمس على بعض الشروط.

الفصل الحادي عشر

الوثائق

وثيقة رقم "1"

أول معاهدة توقع بين بريطانيا وأسرة آل الصباح

"اتفاق مع شيخ الكويت سنة 1899"

باسم الله تعالى شأنه الحمد لله وحده

إن موضوع تدوين هذا الارتباط الشرعي الشريف، هو أنه قد أصبح بموجبه موثقا ومتفقا عليه: بين اللفتنانت كولونيل مالكولم جون ميد "   "

المقيم السياسي لصاحبة الجلالة البريطانية، نيابة عن الحكومة البريطانية من جانب والشيخ مبارك ابن الشيخ صباح شيخ الكويت من جانب آخر.

إن الشيخ مبارك ابن الشيخ صباح المذكور، يتعهد بموجب هذا وبإرادته الحرة ورغبته، ويلزم نفسه، وورثته وخلفاءه، بأن لا يستقبل وكيلا أو ممثلا لأي دولة أو حكومة في الكويت، أو في أي مكان آخر داخل حدود أراضيه، بدون الإذن السابق من الحكومة البريطانية كما يلزم نفسه، وورثته وخلفاءه بأن لا يتنازل ولا يبيع ولا يؤجر ولا يرهن ولا يعطي للتملك أو لأي غرض آخر، أي جزء من أراضيه إلى الحكومة أو رعايا أي دولة أخرى بدون الموافقة السابقة لحكومة صاحبة الجلالة على هذه الأغراض.

وينسحب هذا الارتباط أيضاً على أي جزء من أراضي الشيخ مبارك المذكور، والذي قد يكون الآن في حيازة أي من رعايا أي حكومة أخرى وتصديقا لإبرام هذا الاتفاق الشرعي الشريف.

يوقع كل من اللفتنانت كولونيل مالكوم جون ميد، المقيم السياسي لجلالة ملكة بريطانيا في الخليج الفارسي، والشيخ مبارك ابن الشيخ صباح: الأول عن الحكومة البريطانية، والآخر عن نفسه وورثته وخلفائه وقد وقع كل منهما هذا في

حضور شهود في اليوم العاشر من رمضان 1316 الموافق اليوم الثالث والعشرين من يناير 1799.

إم. جي. ميد مبارك الصباح

المقيم السياسي في الخليج الفارسي

الشهود

ان. ويكهام هور، كابتين. آي. إم. إس. محمد رحيم بن عبد النبي صغير. ج. كالكوت جارسكين.

وثيقة رقم "2"

الاتفاق البريطاني مع أسرة آل الصباح لتأمين وصول البريد إلى المستعمرة الهندية.

اتفاق بريدي مع شيخ الكويت - 1904 "1".

ترجمة فحوى تعهد الشيخ مبارك الكويتي:

"بما أن الحكومة البريطانية قد وافقت، طبقا لرغبتي ولصالح التجار على إنشاء مكتب بريد في الكويت، فإنني من جانبي أوافق على عدم السماح لأية حكومة أخرى بإنشاء مكتب بريد هنا. وطبقا لهذا أحرر هذا التعهد على نفسي وخلفائي".

خاتم الشيخ مبارك الصباح

الكويت: في الحادي عشر من ذي الحجة 1321 هجرية "الثامن والعشرين من فبراير 1904 ميلادية.

وثيقة رقم "3"

الاتفاق البريطاني الكويتي لمنع استخدام الموانى الكويتية في أية أغراض دون الرجوع إلى بريطانيا.

"اتفاق رئيس الكويت بحظر تجارة الأسلحة في أراضيه - 900 "1"

اتفاق الشيخ مبارك بن الصباح، رئيس الكويت

"أوافق على أن أُحرّم بتاتا استيراد الأسلحة إلى الكويت أو تصديرها منها ولتنفيذ ذلك قد أصدرت تنبيهاً وإعلاناً إلى جميع من يهمهم الأمر..

وتحريرا في اليوم الرابع والعشرين من محرم 1318 هجرية "اليوم الرابع والعشرين من مايو 1900" ميلادية

خاتم الشيخ مبارك الصباح

وثيقة رقم "4"

الترجمة العربية لخطاب بريطانيا إلى القبائل والأسر العربية بإعلان الحرب على تركيا.

متابعة للخطاب السابق، الذي أنباكم بنشوب الحرب بين الحكومة البريطانية وتركيا، وقد أمرتني الحكومة البريطانية أن أبلغ سعادتكم الشكر لولائكم وعرضكم المساعدة، وأطلب منكم أن تهاجموا أم القصر وسفوان وبوبيان وأن تحتلوها، وعليكم أن تحاولوا بعد ذلك بالتعاون مع الشيخ السير خزعل والأمير عبد العزيز بن سعود وغيرهما من المشايخ الممكن الاعتماد عليهم، لتحرروا البصرة من السيطرة التركية وإذا ما كان ذلك عسيراً على جهدكم فعليكم اتخاذ الترتيبات الممكنة لمنع الإمدادات التركية من الوصول إلى البصرة أو حتّى إلى قرنة وذلك لحين وصول القوات البريطانية التي سوف نرسلها بإذن الله في أسرع وقت ممكن.

وآمل أيضاً أن تتمكن اثنتان من بوارجنا من الوصول إلى البصرة قبل وصول جنودكم هنالك. وأنه وإن كان الأصل أن

هدفكم الأعلى في هذا الشأن هو تحرير البصرة وشعبها من الحكم التركي فإننا ما نزال نطلب أن تستخدموا أعظم جهدكم في منع الجنود وغيرهم من نهب بضائع السفن البريطانية في البصرة وتوابعها وأن تحموا المقيمين الأوروبيين في البصرة وأن تحفظوهم من الخسارة والعدوان.

وفي مقابل هذه المساعدة القيمة في هذا الشأن الهام فقد أمرت من الحكومة البريطانية أن أعد سعادتكم إذا ما تم لنا النجاح ـ وإننا سوف ننجح بإذن الله ـ فإننا لن نعيد البصرة إلى الحكومة التركية ولن نسلمها لها أبدا.

1 ـ إن الحدائق التي في حوزتكم الآن وهي الممتدة بين ألفا وقرنة سوف تظل في حيازتكم وحيازة ذريتكم، دون الخضوع لدفع إتاوة أو ضرائب.

2 ـ أنه إذا هاجمتم سفوان وأم القصر وبوبيان، واحتللتموها فإن الحكومة البريطانية سوف تحميكم من أي آثار قد تترتب على ذلك العمل.

3 ـ إن الحكومة البريطانية تعترف وتؤكد أن مشيخة الكويت حكومة مستقلة تحت الحماية البريطانية.

وثيقة رقم "5"

أول معاهدة توقع بين بريطانيا وأسرة آل سعود.

هذه معاهدة بين الحكومة البريطانية من جهة وبين عبد العزيز بن عبد الرحمن ابن فيصل آل سعود أمير نجد والإحساء والقطيف وجبيل وجميع المدن والموانئ التابعة لهذه المقاطعات من جهة أخرى.

الحكومة البريطانية باسمها وعبد العزيز باسمه وباسم ورثته وأخلافه ورجال عشيرته، عينت الحكومة البريطانية الكولونيل السير برسي كوكس معتمدها في سواحل العجم مفوضا لأجل أن يعقد معاهدة مع عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود المقصد الآتي:

توطيد وتوكيد الصداقة الموجودة بين الطرفين منذ زمن طويل وتأييد منافعهما المتقابلة: إن الكولونيل السير برسي كوكس وعبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود ـ المعروف بابن سعود ـ اتفقا وتعاقدا على المواد الآتية:

أولاً: أن الحكومة البريطانية تعترف وتقبل بأن نجدا والإحساء

والقطيف وجبيل وملحقاتها التي تعين هنا والموانئ التابعة على سواحل العجم كل هذه المقاطعات هي تابعة للأمير ابن سعود وأبنائه من بعده، وهي تعترف بابن سعود حاكما مستقلا على هذه الأراضي ورئيسا مطلقا على جميع القبائل الموجودة فيها وتعترف لأولاده وأعقابه الوارثين من بعده، على أن يكون خليفة منتخباً من قبل الأمير الحاكم وأن لا يكون مخاصما لإنكلترا بوجه من الوجوه أي أنه يجب أن لا يكون ضد المبادئ التي قبلت في هذه المعاهدة.

ثانياً: إذا تجاوزت إحدى الدول على أراضي ابن سعود وأعقابه من بعده دون إعلام الحكومة البريطانية ودون أن تمنح الوقت المناسب للمخابرة مع ابن سعود لأجل تسوية الخلاف فالحكومة البريطانية تعاون ابن سعود ضد هذه الحكومة، وفي مثل هذه الظروف يمكن للحكومة البريطانية بمساعدة ابن سعود أن تتخذ تدابير شديدة لأجل محافظة وحماية منافعه.

ثالثاً: يتعهد ابن سعود أن يمتنع عن كل مخابرة أو اتفاق أو معاهدة مع أية حكومة أو دولة أجنبية، وعلاوة على ذلك فإنه

يتعهد بإعلام الحكومة البريطانية عن كل تعرض أو تجاوز يقع من قبل حكومة على الأراضي التي ذكرت آنفاً.

رابعاً: يتعهد ابن سعود ـ بصورة قطعية ـ أن لا يتخلى ولا يبيع ولا يرهن ولا بصورة من الصور ولا يقبل بترك قطعة أو التخلي عن الأراضي التي ذكرت آنفا، ولا يمنح امتيازا في تلك الأراضي لدولة أجنبية أو لتبعية دولة أجنبية دون رضا الحكومة البريطانية وأنه يتبع نصائحها التي لا تضر بمصالحه.

خامساً: يتعهد ابن سعود بأن يبقى الطرق المؤدية إلى الأماكن المقدسة مفتوحة، وأن يحافظ على الحجاج أثناء ذهابهم إلى الأماكن المقدسة ورجوعهم منها.

سادساً: يتعهد ابن سعود كما تعهد والده من قبل بأن يمتنع عن كل تجاوز وتداخل في أراضي الكويت والبحرين وأراضي مشايخ قطر وعمان وسواحلها وكل المشايخ الموجودين تحت حماية إنكلترا والذين لهم معاهدات معها.

سابعاً: الحكومة البريطانية وابن سعود يتفقان فيما بعد بمعاهدة على التفصيلات التي تتعلق بهذه المعاهدة.

3 يناير سنة 1915 م

التوقيع

الكولونيل السير برسي كوكس

معتمد بريطانيا

في سواحل خليج العجم

التوقيع

السلطان عبد العزيز عبد الرحمن

ابن فيصل آل سعود

خادم الدين والدولة والملّة

وثيقة رقم "6"

ترجمة الخطاب الإنجليزي المرسل إلى قائد الجيش الوهابي لتأمين الرعايا الأجانب أثناء مهاجمة مكة.

"جدة في 4 نوفمبر 1934 م"

إلى خالد بن لؤي وسلطان بن بجاد

بعد الاحترام، وصلنا كتابكم، ولا يخفى كما أن حكوماتنا ملتزمة الحياد التام في الحرب القائمة بين نجد والحجاز،

وعلى ذلك فنحن محايدون ولا يمكن التدخل بأي وجه كان في هذا الخصام ولقد أخذنا بتصريحكما بأن ليس لكما نظر في رعايانا ونؤيد مضمون كتابنا الأول المختص بهم.

وثيقة رقم "7"

خطاب ملك مصر الملك فؤاد إلى عبد العزيز آل سعود حول خطورة الموقف من الحرب في مكة.

عظمة السلطان عبد العزيز سلطان نجد

إن الحرب القائمة حول المدينة المنورة قد أقلقت خواطر المسلمين قاطبة لما عساه يحدث من تأثير في الأماكن النبوية المقدسة التي نجلّها ونحافظ على آثارها، ولا يخفى على عظمتكم ما لهذه الأماكن من الحرمة التي توجب أن تكون بعيدة عن كل أذى رغم ما يقتضيه أي نزاع أو خلافه.

وثيقة رقم "8"

رد عبد العزيز آل سعود على خطاب الملك فؤاد حول مخاوف المسلمين من الحرب بين آل سعود والشريف حسين.

صاحب الجلالة فؤاد الأول ملك مصر المعظم

أهدى جلالتكم أعظم الشكر على غيركم ولا يستكثر ذلك من سليل محمد علي الكبير الذي سبقت له خدمة هذه الديار المباركة من قبل في مثل هذه الكارثة نفسها مادة ومعنى فقضى بذلك على أجداد هؤلاء الوحوش المعدودين.

ونبرأ إلى الله أن يكون أحد منا ـ نحن أبناء الحرمين الشريفين ـ أراد القتال أو أخذ على الاستواء فيه سواء ذلك في مكة أو المدينة المنورة، ونسجل على المتسبب السعودي مسؤولية ما تهدم فيها من الآثار وما زال يصيبها من أذى كجعل القبة الخضراء النبوية هدفاً للرصاص وسائر قبب وقبور آل البيت بالبقيع وتخريب مسجد سيدنا حمزة وهدم ضريحه الشريف طبقا للأساس الذي قام عليه المذهب الوهابي المعلوم.

وثيقة رقم "9"

خطاب حزب الحجاز والذي طالب فيه أعضاؤه الشريف حسين بالتنازل عن العرش.

صاحب الجلالة الملك المعظم بمكة

بما أن الشعب الحجازي بأجمعه الواقع الآن في الفوضى

العامة بعد فناء الجيش المدافع وعجز الحكومة عن صون الأرواح والأموال، وبما أن الحرمين الشريفين خاصة وعوام البلاد مستهدفة لكارثة قريبة ساحقة وبما أن الحجاز مقدس يعني أمره جميع المسلمين لذلك قررت نهائياً طلب تنازل الشريف حسين وتنصيب ابنه الشريف علي ملكا على الحجاز فقط مقيدا بدستور ومحليين وطنيين.

وثيقة رقم "10"

قبول الشريف التنازل عن العرش.

إدارة برقيات الحكومة الهاشمية

في 4 ربيع الأول سنة 1343 هـ بواسطة قائد جدة إلى الهيئة الموقرة.

مع الممنونية والشكر وهذا أساس رغبتي التي أصرح بها منذ النهضة وإلى تاريخه وقد صرحت قبله دقائق أني مستعد لذلك بكل ارتياح إذا عينتم على وأني منتظر هذا بكل سرعة وارتياح.

الإمضاء "الحسين"

وثيقة رقم "11"

مبايعة أهل الحجاز للأمير علي كحاكم للبلاد.

بناء على طلب الأمة قد تنازل جلالة والدكم بموجب برقيته رقم 19 المؤرخة في 4 ربيع الأول وقررت نهائيا البيعة لجلالتكم ملكا دستوريا على الحجاز وأن يكون للبلاد مجلس نيابي وطني وقانون أساسي تضعه جمعية تأسيسية كما هو جار في الأمم المتمدنة وبما أن الوقت ضيق إلا ودون تأسيس المجلس النيابي الوطني فقد قررت الأمة أن تشكل هيئة مؤقتة أعمال الحكومة وإنا نبايعكم على ذلك وعلى كتاب الله وسنة رسوله.

وثيقة رقم "12"

ترجمة الخطاب البريطاني لنفي الشريف ومطالبة بمغادرة البلاد

إلى جلالة الملك حسين من وكيل خارجية بريطانيا العظمى:

تبلغت حكومة ملك بريطانيا أن سلطان نجد هيأ قوة لمهاجمة العقبة وذلك لأن حكومة جلالتكم بها ولأن حكومة الحجاز

جعلت ميناء العقبة بحالة عسكرية ضد ابن سعود فهي تدعوكم إلى مغادرة العقبة لكي لا تكونوا سبباً لحصول مشاكل جديدة بين بريطانيا وسلطان نجد وتصر بإلحاح على وجوب مغادرتكم العقبة إذ لا يمكنها أن تسمح لكم بالبقاء أكثر من ثلاثة أسابيع.

وثيقة رقم "13"

ترجمة الخطاب البريطاني الخاص بمقابلة عبد العزيز آل سعود والسفير البريطاني قبل تنصيب عبد العزيز حاكماً.

"جدة في 16 ديسمبر 1925 م"

حضرة السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود سلطان نجد بانتظارك لمقابلتي بالرغامة غدا يوم الخميس قبل الظهر أو بعد ذلك بأسرع ما يمكن.

نائب معتمد وقنصل بريطانيا العظمى

وكيل قنصل

جوردن

وثيقة رقم "14"

رد عبد العزيز آل سعود على طلب السفير الإنجليزي لمقابلته قبل تنصيبه حاكماً على الحجاز.

وإجابة سلطان نجد ـ بما يلي:

الرغامة في 30 جمادي الأول 1344 هـ

من عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل

إلى سعادة المعتمد البريطاني المستر جوردن المفخم

تحية وسلاما:

أتشرف بأن أخبر سعادتكم بأني تناولت كتابكم المؤرخ في 16 ديسمبر سنة 1925 وفهمت ما تضمنه .. حالا حضرنا في العرضي لمقابلة سعادتكم في المحل الذي يخبركم عنه "منشئ إحسان الله" هذا وتقبلوا فائق احتراماتي.

الختم السلطاني السعودي

عبد العزيز سلطان نجد

وثيقة رقم "15"

النص الحرفي لخطاب الملك عبد العزيز في أول مؤتمر

إسلامي ينعقد بعد نفي الشريف حسين ورد إمام الجامع الأزهر عليه.

يقول الخطاب: لا أريد أن أتدخل في أعمالكم ولا أقيد حرية المؤتمر في البحث كما وعدت بذلك في خطاب الافتتاح "!" ولكني أريد أن ألفت نظركم الكريم إلى بعض الأمور بصفتي زعيما من زعماء الإسلام الذين ألقيت إليهم مقاليد أمور هذه البلاد، إن الدعوة التي وجهتها إلى ملوك المسلمين وأمرائهم وشعوبهم والتي عليها أوفدت الحكومات والشعوب ممثليها تنحصر في إسعاد هذه البلاد وإنهاضها من كبوتها وجعلها في المستوى اللائق بكرامة المسلمين دينيا وعلميا واقتصاديا وأدبيا، ولقد كنت أنتظر من حضراتكم كما ينتظر إخوانكم المسلمون في كل مكان أن تخطوا خطوات واسعة في هذا السبيل، لو كان يظهر أننا نحاول القيام بكل شئ في أول مؤتمر إسلامي وأخشى أن حرصنا على القيام بكل شئ يجعلنا نفقد كل شئ.. وأفضل شئ التدرج في السير.

إني وإن لم أحضر مجلسكم وأقف على مباحثاتكم بالتفصيل فإني على اتصال دائم روحي بكم، ويهمنا جدا أن تنجحوا حتّى

تبرهنوا للعالم أن المسلمين أهل للحياة وأنهم يجب أن يأخذوا قسطهم من الحياة في هذا الوجود وأن دينهم لا يحول دون رقيهم وأنهم وإن اختلفوا في الآراء والأفكار فهم أمام المصلحة العامة كتلة واحدة لا تنفذ إليها الأغراض والأهواء.

أيها الإخوان:

إني لا أريد علوا في الأرض ولا فسادا ولكن أريد الرجوع بالمسلمين إلى عهدهم الأول عهد السعادة والقوة عهد الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان.

لا شئ يجمع القلوب ويوحدها سوى جعل أهدافنا تبعا لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ولا بقعة تصلح لهذا الغرض سوى هذه البقعة الطاهرة التي منها بزغ شمس الإسلام، ولذا فإني أرى أن تكون الكلمة العليا والرأي النافذ لجميع العلماء المحققين الذي لا تأخذهم في الحق لومة لائم وإن جميع البلدان الإسلامية مملوءة بالعلماء أولى البصيرة والخبرة، فلترسل كل أمة منهم جماعة ليقوموا بالوعظ والإرشاد وتقرير ما يجب تقريره في هذه البلاد!!

كلنا يعلم أن هذه البلاد ينقصها شئ عظيم من الإصلاح دنيا

ودينا، فشاركونا في ذلك نشكركم ويشتد ساعدنا بكم، أما إذا تركنا نسير وحدنا والوقوف موقف الناقد اللاذع فذلك لا يليق بالأخوة الإسلامية!!

أيها الإخوان:

إنا لن نكره أحداً على اعتناق مذهب معين أو السير في طريق معين في الدين، فذلك موكل أمره لعلماء وحملة الشريعة ولكني لا أقبل بحال من الأحوال التظاهر بالبدع والخرافات التي لا يعتبرها الشرع وتأباها الفطرة السليمة. لا يسأل أحد عن مذهبه أو عقيدته ولكن لا يصلح أن يتظاهر أحد بما يخالف إجماع المسلمين أو يثير فتنة عمياء بين المسلمين، وخير لنا أن ننظر إلى صالح المسلمين ونترك هذه الأمور الجزئية للعلماء فهم أحرص منا على ذلك!!

أرجو ألا تضيع الفرصة الباقية قبل أن تستفيد البلاد المقدسة منكم حتّى يجئ الحج القادم ويشعر المسلمون الوافدون أنكم قمتم بواجبكم نحو هذه البلاد!!

وبهذه المناسبة أقدم لكم خطتنا السياسية لهذه البلاد لترشدونا إذا أخطأنا وتؤيدونا إذا أصبنا.

1 ـ إننا لا نقبل أي تدخل أجنبي في هذه البلاد الطاهرة أيا كان نوعه.

2 ـ إننا لا نقبل امتيازات لأحد دون أحد بل جميع الوافدين لهذه البلاد يجب أن يخضعوا للشريعة الإسلامية.

3 ـ إن البلاد الحجازية يجب أن يوضع لها نظام حيادي خاص لا تحارب ولا تحارَب ويجب أني ضمن هذا الحياد جميع الحكومات الإسلامية المستقلة!!

4 ـ النظر في مسائل الصدقات والمبرات التي ترد من سائر الأقطار العربية الإسلامية ووجوب صرفها وانتفاع البلاد المقدسة منها!!

هذا ما أحببت تقديمه إليكم والله يتولانا برعايته ويوفقنا جميعا لما فيه الإسلام والمسلمين.

نص مذكرة الشيخ الظواهري شيخ الأزهر:

قد عرض الملك عبد العزيز أن المؤتمر وقف من حكومته موقف اللاذع! وعقيدتنا أن جميع أعضاء المؤتمر ما كانوا يقصدون إلا إسعاد الحجاز وأن قلوبهم كانت ممتلئة بالإخلاص، ولقد أعرب الملك عن الرغبة في ترك المسائل

الدينية للعلماء، وظاهر أن ذلك لا يمكن أن يكون لعلماء مذهب واحد ولا لعلماء المذاهب على أن يجتمعوا من سائر الأقطار بمكة للتناظر والمجادلة وإيقاظ التعصب المذهبي، إنّما الممكن أن يكون ذلك لعلماء كل المذاهب على أن يرشد كل فريق أتباع مذهبه إلى حكم الله في ذلك المذهب وإرشاد الحكومة الحجازية إلى ما هو من مواضع الوفاق وما هو من مواضع الخلاف وهذا هو ما قرره المؤتمر في هذا الشأن قبل أن يصل إليه كتاب الملك.

ولقد قال أنه لا يقبل بحال من الأحوال التظاهر بالبدع والخرافات التي لا يعتبرها الشرع وتأباها الفطر السليمة.

وهذا قول حق إذا كان المراد به ما يقرره جميعاً جميع علماء المذاهب الإسلامية أنه من البدع والخرافات. أما ما يقوله فريق من العلماء أنه منها ويقول فريق آخر أنه ليس منها فلا يمكن الموافقة على مدلول هذه الفقرة.

وقد قال الملك عبد العزيز أنه لا يسأل أحدا عن مذهبه ولكن لا يصح أن يتظاهر أحد بما يخالف إجماع المسلمين أو يثير فتنة عمياء وهذه الكلمة الأخيرة "أو يثير فتنة عمياء" واسعة

النطاق غير محددة، فقد يفهم قوم أن من التظاهر بما يثير فتنة عمياء التظاهر بمنع الناس من أمور جائزة في مذاهبهم، وقد يفهم آخرون أن من ذلك التظاهر بفعل ما تبيحه المذاهب متى كان ممنوعا في مذهب آخر ولا شك أن في تطبيق هذا المبدأ خطراً كبيرا قد ندرك مغزاه من الحادث الآتي:

سأل سائل إمامنا الشيخ ابن بليهد كبير العلماء السعوديين وقاضي القضاة عن سبب منع شرب الدخان فقال: "نحن لا نمنعه لأنه حرام ولا لأنه حلال، فنحن نعلم أن فيه خلافا بين العلماء وإنما نمنعه لأن السعوديين إذا رأوا من يشربه ذبحوه"!

فهل هذا هو الذي يعنيه "جلالة" ابن سعود بهذه الفقرة؟! وهل يريد السعوديون أن يحكموا البدو في كل من يفد على الحجاز بمثل هذه العلة؟ وهل مثل هذا التصريح الفتوى في مصلحة السعوديين وفي مصلحة الحجاز نفسه؟! وهل مع هذا يمكن أن يأمن الناس في حرم الله حيث يأمن الحيوان والنبات ويكون الحاج في خطر الذبح والردع، أولئك الذين يذبحون شارب الدخان أم أولئك الذين يفعلون ما تبيحه مذاهبهم

الإسلامية لا يضر أي إنسان!!

وقال عبد العزيز: "وخير لنا أن ننظر إلى مصالح المسلمين ونترك هذه الأمور الجزئية للعلماء" وقد كنا نود أن يراعى هذا المبدأ من أول الأمر فلا تهدم المآثر وغيرها حتّى يرى علماء المذاهب الإسلامية رأيهم فيها!

ولقد بين عبد العزيز خطته السياسية وطلب الإرشاد إن كان ثمة خطأ، ولو أتيح لنا أن نفحص هذه الخطة ونبين نتيجة الفحص لبيناها كالآتي:

قال في البند الأول: "إننا لا نقبل أي تدخل أجنبي في هذه البلاد الطاهرة أيا كان نوعه" وكلمة "الأجنبي" هذه مجملة فإذا كان المراد بها هم أعداء العرب والإسلام فذلك ما يؤيده فيه كل العالم الإسلامي إلا أن تطبيق ذلك مع الجمع بين سلطنة نجد ومملكة الحجاز يحتاج إلى دراسة المعاهدات التي عقدها ابن سعود مع الدول الأجنبية والإنجليزية بالذات خشية أن يكون فيها ما يحمل إقرار الجميع إقرارا بوجه من وجوه التدخل الذي نهي عنه في هذا البند! فمثلا إذا فرض أن لدولة أجنبية حق التدخل في تعيين سلطان نجد من بين آل سعود

كان معنى ذلك أن لهذه الدولة حق التدخل في تعيين ملك الحجاز ما دام سلطان نجد هو ملك الحجاز.

وإذا كان المراد "بالأجنبي" من ليس من أهل الحجاز وإن كان مسلما فلا ندري كيف يمكن إقرار ذلك والحجاز لجميع المسلمين! ولا ندري كيف أن السعوديين والإنكليز في نجد والأراضي المقدسة باسم الدين وهم من الأجانب؟

وقال عبد العزيز في البند الثاني: "إننا لا نقبل امتيازاً لأحد دون أحد بل جميع الوافدين لهذه البلاد يجب أن يخضعوا للشريعة الإسلامية". فإذا كان معنى ما يسمى في العرف السياسي بالامتيازات الأجنبية فذلك ما نوافقه فيه ولكننا في الوقت نفسه نتساءل عما يعنيه بالشريعة الإسلامية التي يجب أن يخضع لها كل من يدخل الحجاز، فإذا كان المراد هو الشريعة في مذهب آل سعود فهناك الخطر الشديد على قاصدي الحجاز وقاطنيه، فإن مما تجيزه المذهب الإسلامية ما يعده السعوديون شركا أو دون الشرك بقليل. ومعنى هذا يكون عمل المسلم بمذهبه ما يعرضه لعقوبة الإعدام أو الضرب أو غير ذلك من وجوه التعذيب الشرعي السعودي. أما إذا كان

المراد الخضوع للشريعة بأوسع معانيها فذلك ما نؤيده فيه كل التأييد ولكن بمقتضى:

أولا: إقامة قضاة يثق بهم العالم الإسلامي وإلا لم يكن هناك أي ضمان للأرواح والأموال خصوصاً بعدما حدث من السعوديين عندما استحلوا دماء أهل الطائف وأموالهم وغير أهل الطائف منزلين مذاهبهم السعودية في بعض الأمور التي دفعهم الإنكليز إليها..

وقال عبد العزيز في البند الثالث "إن بلاد الحجاز يجب أن يوضع لها نظام حيادي خاص لا تحارِب ولا تحارَب ويجب أن يضمن هذا الحياد جميع الحكومات الإسلامية المستقلة".

وهذا الاقتراح إنّما يفهم إذا كان على وجه يشمل مسألة الحجاز كلها.

يستوي في ذلك الحاكم وطريقة الحكم فهو على هذا التقرير يمكن قبوله على الطريقة الآتية:

أولاً: يكون انتخاب الحاكم بواسطة الحكومات الإسلامية المستقلة إلى مدة معينة.

ثانياً: أن يدخل في هذا الضمان كل الحكومات المجاورة

للحجاز.

ثالثاً: لا ينتخب لحكم الحجاز أحد من آل الإمارة أو الملك في الحكومات المجاورة حتّى لا يوجد سبيل إلى المطامع.

وهناك طريقة أخرى وهي أن ينعقد مؤتمر الحكومات الإسلامية المستقلة فيضع نظاما وافيا لطريقة الحكم أمام هذا المؤتمر، تقدم تقريرها إليه في كل عام وعلى أن يراعى في وضع النظام رغبات الشعوب الإسلامية وأن يكون الانتداب إلى مدة معينة ولا مانع من تجديده لنفس تلك الدولة وهاذ هو الذي ينبغي أن يكون أساس المؤتمر الحجازي السنوي.

لقد تبين في المؤتمر الأول الذي انعقد هذا العام رغبات الشعوب، فلنعقد المؤتمر الثاني من مندوبي الحكومات الإسلامية لتنفيذ رغبات الشعوب ووضعها في القالب الدولي الحكومي.

أما إذا كانت مسألة الحاكم فلا دخل للدولة الضامنة وأن معنى هذا البند أن عليهم أن يعترفوا بحكومة "جلالة ابن سعود" في الحجاز وأن يضمنوا له هذا الملك فتلك مسألة تحتاج إلى إمعان النظر قبل إقرار هذا الاقتراح.

وقد جعل "جلالته" الركن الرابع من خطته السياسية النظر في أمر الصدقات والمبرات التي ترد من سائر الأقطار الإسلامية ووجوه صرفها وانتفاع البلاد المقدسة منها، وأول ما يستوقف النظر جعل هذه المسألة الجزئية ركنا من أركان الخطة السياسية على أن الصدقات والمبرات التي يرغب صاحبها في توزيعها على وجه خاص بنفسه أو بنائبه لا سبيل إلى إقرار المدخل الحكومي فيها بل أمرها موكول إلى محض إرادة المتصدق، لذلك لم نفهم معنى لذكر هذا البند كركن من الخطة السياسية بل نرى أن ذكره قد يغل أيدي المتصدقين الذين لا يريدون أن يتحكم أحد في صدقاتهم.